

اليوم الآخر في العهد القديم بين الإثبات والنفي عند علماء المسلمين: عرض وترجيح

د. أحمد محمد فلاح النمرات

أكاديمي أردني، أستاذ مشارك، كلية أصول الدين،
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية

ملخص البحث

اختلف علماء الإسلام بين مثبت ذكر اليوم الآخر في أسفار العهد القديم وبين ناف لذلك. ويتناول البحث هذه المسألة لكون اليوم الآخر ركناً في الأديان الثلاثة، ونظراً لتضاد الرأي بين المثبتين والنافين. وتأتي أهمية البحث في هذه المسألة في محاولته الوصولَ إلى نتيجة مرجحة وفقاً للنصوص. وتضمن هذا البحث – الذي سار وفق المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي – مقدمة وتمهيداً وثلاثة مباحث وخاتمة.

وأظهر البحث أنّ أبرز علماء الأديان المسلمين نصوا على ذكر الآخرة في التوراة بإجمال، والشوكاني أكّد ذكرها وانتصر لذلك بشدة، في حين كان النافون ذكر الآخرة في التوراة قلةً، وأبرزهم ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأظهر البحث أنّ أكثر العلماء والباحثين صرّحوا بذكر الآخرة في بقية أسفار العهد القديم، وهو ما ترجح لدى الباحث؛ لأنّ العلماء الذين أثبتوا ذكر الآخرة في أسفار العهد القديم وقفوا على عدة نصوص، ومن أثبت بدليل مقدَّم على من نفى؛ ولهذا رجح الباحث رأي المثبتين وأورد نصوصاً عديدة تناولت اليوم الآخر، وحذرت من الشر وحثت على البر. وتضمنت النصوص وصف مراحل القيامة، كالدمار الكوني، ثم البعث والحساب، والجنة والنار، ورؤية الله تعالى، والثواب والعقاب الأبديين.

وأظهرت الموازنة وجود آيات قرآنية عديدة صدقت مشاهد من أهوال القيامة في العهد القديم.

ويؤخذ على بعض نصوص العهد القديم أنها ربطت بين أهوال القيامة وبين

يوم على الأرض ينتصر فيه اليهود على أعدائهم. وهذا تحريف دفع بعض الباحثين لنفي ذكر الآخرة في العهد القديم. وبالمقابل توجد نصوص نصتْ على نجاة اليهود وغيرهم، وتوجد نصوص ركزت على إحضار الله جميع الأعمال للحساب دون ذكر لليهود. وأكد الباحث على أهمية الإنصاف في الحكم بقبول ما شابه نصوص القرآن الكريم وهي عديدة، وردّ عبارات التعصب لليهود.

وأوصى الباحث بتصحيح الخطأ الشائع في العديد من المؤلفات التي تنفي ذكر اليوم الآخر في جميع أسفار العهد القديم.

كلمات مفتاحية: الآخرة، التوراة، العهد القديم، علماء، إثبات، نفي.

د. أحمد محمد فلاح النمرات

ahmednimrat2013@gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليـاً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل التوراة والإنجيل نوراً وهدىً وضياءً، وجعل فيهما معالم الهداية والنور، وأشهد أنّ محمداً عبد الله وخاتم أنبيائه، أنزل عليه القرآن وجعله مصدقـاً لما بين يديه من الكتب السابقة، ومهيمنا عليها، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد؛ فمن الضروري شرعـاً وعقلاً وجود يوم يجمع الله فيه الناس لمعاقبة المسيء ومكافأة المحسن. والنصوص الدينية في اليهودية والنصرانية والإسلام تؤكد حصول الحساب والجنة والنار. والمتأمل في مواقف العلماء المسلمين المختصين في الأديان - سواء من السابقين أو المعاصرين - الذين تكلموا في مسألة ذكر الآخرة في أسفار اليهود = يجد تباينـاً واضحـاً بين مثبت ونافٍ. وقد تباينت مواقفهم بين مؤكد وجازم وبين نافٍ ومنكرٍ ذكرَ الآخرة في جميع أسفار العهد القديم؛ ومن هنا كان لا بدّ من البحث المستند إلى نصوص العهد القديم[١] للوقوف على هذه المسألة والوقوف على ما كتبه علماء الاسلام

(١) يحتوي العهد القديم الأسفار الآتية: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الأحبار (سفر اللاويين)، سفر العدد، سفر التثنية. ومجموع هذه الأسفار (الكتب) الخمسة هو ما يطلقون عليه اسم أسفار موسى الخمسة، وتسمى بالتوراة، وهي كلمة عبرية بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وأما العهد القديم فيتضمن التوراة (الأسفار الخمسة السابقة) إضافة إلى الأسفار الآتية: سفر يشوع. سفر القضاة. سفر راعوث. سفر صموئيل الأول. سفر صموئيل الثاني. =

الذين برزوا في الأديان أو بحثوا هذه المسألة، وعرض آرائهم في هذا البحث الذي سميته ب" اليوم الآخر في العهد القديم بين الاثبات والنفي عند علماء المسلمين، عرض وترجيح". وقد بقيت أتأمل البحث وأنقحه وأراجع النصوص ثلاثة أعوام، فأسال المولى سبحانه التوفيق والسداد.

۞ الدراسات السابقة:

بعد البحث في قواعد المعلومات والمجلات العلمية لم أقف على دراسة اختصت بجمع آراء العلماء والناقدين المسلمين - سواء القدامى أو المعاصرين - في هذه المسألة، ووقفت على دراسات وكتب تعرضت لليوم الآخر في اليهودية والأديان، وأبرزها ما يأتي:

= سفر الملوك الأول. سفر الملوك الثاني. سفر أخبار الأيام الأول. سفر أخبار الأيام الثاني. سفر عزرا الأول. سفر عزرا الثاني (سفر نحميا)، سفر أستير. سفر أيوب. سفر الزبور (المزامير).سفر الأمثال.سفر الجامعة. سفر نشيد الإنشاد. سفر إشعياء. سفر إرميا. سفر مراثي إرميا. سفر حزقيال. سفر دانيال. سفر هوشع. سفر يوئيل. سفر عاموس. سفر عوبديا. سفر يونان.سفر ميخا. سفر ناحوم. سفر حبقوق. سفر صفنيا. سفر حجي. سفر زكريا. سفر ملاخي. وتخالف نسخة التوراة السامرية نسخة التوراة العبرانية التي لليهود، وهما تُخالفانِ نسخةَ التوراة اليونانية. وتوجد في نسخة التوراة اليونانية سبعة أسفار زائدة عما في التوراة العبرانية، يطلق عليها: أسفار الأبوكريفا، وأسماؤها هي: سفر باروخ. سفر طوبيا. سفر يهوديت. سفر حكمة سليمان.سفر يشوع بن سيراخ. سفر المكابيين الأول. سفر المكابيين الثاني. وبذا تكون التوراة اليونانية محتوية على ستة وأربعين سفراً. انظر: مختصر إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ص ٩ - ١٢ بتصرف يسير، تحقيق د. محمد الملكاوي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، وكتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ص ٦٠ - ٦١، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٠٧م.

- "إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات"، كتاب للإمام الشوكاني الذي انتصر لرأيه في إثبات ذكر الآخرة، وذكر نصوصاً قليلة، لكنه لم يذكر آراء العلماء السابقين.

- "يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية"، كتاب للدكتور فرج الله عبد الباري، وأصله رسالة ماجستير. والكتاب مرجع مهم، يتضمن عدة نصوص في العهد القديم عن الآخرة، لكنه لم يتعرض لمواقف علماء المسلمين من هذه المسألة.

- اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، كتاب للدكتورة يُسر مبيض، ولم تتعرض الباحثة لموقف علماء الإسلام من هذه المسألة.

ولذلك فإنّ جديد هذا البحث استقراء آراء علماء الإسلام المثبتين والنافين ذكرَ اليوم الآخر في العهد القديم، وتحليل آرائهم، ثم الترجيح استناداً إلى النصوص.

۞ أهمية البحث:

- أنّ موضوع اليوم الآخر ركن أصيلٌ في الأديان الثلاثة.

- أنّ العلماء المسلمين الذين كتبوا في الأديان - سواء القدامى أو المعاصرين - تضادت آراؤهم بين مثبت وناف لهذه المسألة، فصار من الأهمية العلمية بحثها.

- عدم وجود دراسة اختصت بجمع آراء علماء الأديان المسلمين المتضادة والترجيح في هذه المسألة المهمة.

۞ هدف البحث:

- الوقوف على آراء أبرز علماء الأديان المسلمين والباحثين المعاصرين في مسألة ذكر اليوم الآخر في التوراة والعهد القديم، وتحليل الآراء مع الترجيح بينها وفقاً لنصوص التوراة والعهد القديم.

۞ منهج البحث:

سأتبع في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وأعرض آراء أبرز العلماء والناقدين المسلمين القدامى، وأمثلة من المعاصرين الذين تناولوا مسألة الآخرة في العهد القديم. وضابط اختياري للعلماء الذين سأعرض أقوالهم محدد بالذين ألفوا في الأديان وعرضوا هذه المسألة، وجعلت ضابط القدامى من توفي منهم قبل القرن الرابع عشر. وسأعرض أراء العلماء في كل مطلب حسب الأقدم زماناً. والعلماء القدامى هم: الطبري المهتدي، وابن حزم، والخزرجي، والشهرستاني، والقرطبي صاحب كتاب الإعلام، والقرافي، والجعفري، وابن تيمية، وابن القيم، وعبد العزيز آل معمر، والشوكاني، رحمهم الله جميعاً.

وسأتناول في المبحث الأول آراء العلماء المثبتين والنافين في التوراة (الأسفار الخمسة)، وفي المبحث

الثاني سأتناول آراءهم في بقية أسفار العهد القديم، وأكتفي بنقل نماذج من كلام المعاصرين، بخلاف السابقين الذين سأورد مقالة كل واحد منهم. وسأتبع كل موقف بالتحليل والاستنباط، وبالنقد أحياناً. (والنقد لا يُنقص من قدر العالِم فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ). وفي المبحث الأخير سأورد العديد من النصوص عن الآخرة وأهوالها، وسأعتمد المعنى الظاهر من

النصوص ما دام القرآن الكريم مصدّقًا، لها مبتعداً عن تأويلات علماء أهل الكتاب – إلا للضرورة – كونهم يعتمدون المجاز وتأويل أكثر النصوص، ثم أورد بعض الآيات القرآنية للموازنة، ثم أرجح ما يظهر لي صوابه استناداً إلى النصوص. وإطلاق اسم التوراة أعني به الأسفار الخمسة فقط دون بقية العهد القديم.

وسأعتمد في نصوص أهل الكتاب على نسختين: الأولى صادرة عن كنيسة "الأنبا تكلا هيمانوت" في الإسكندرية، وأوازن جميعَ النصوص – في الحواشي – بالنسخة اليسوعية المشهورة الصادرة عن دار المشرق – لبنان عام ١٩٩٤م، ونظراً لشهرة الأعلام فسأكتفي بذكر عام وفاة كل واحد من الأعلام القدامى.

۞ خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة كما يلي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، والدراسات السابقة، وهدف البحث ومنهجه وإجراءاته وخطته.

تمهيد.

المبحث الأول: اليوم الآخر في التوراة (الأسفار الخمسة) بين الإثبات والنفي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلماء المثبتون.

المطلب الثاني: العلماء النافون.

المبحث الثاني: اليوم الآخر في بقية أسفار العهد القديم بين الإثبات والنفي،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلماء المثبتون.

المطلب الثاني: العلماء النافون.

المبحث الثالث: نماذج من نصوص العهد القديم في اليوم الآخر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النصوص العامة.

المطلب الثاني: النصوص التفصيلية.

خاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المراجع، الفهرس.

سائلاً الحنّان المنّان أن يوفقني للصواب ويصرفني عن الزلل، ويغفر الخطأ، ويتقبل الصواب وينفع به، وهو سبحانه الوليّ الحميد. وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى إخوانه المرسلين، وآلهم وصحبهم، والحمد لله ربّ العالمين.



تمهيد

يؤمن المسلمون أنّ الله جلّ شأنه ضمّن الكتب التي أنزلها على أنبيائه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ذكر اليوم الآخر؛ إقامة للحجة على الناس، لقوله جلّ شأنه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

كما يؤمن المسلمون على وجه اليقين أنّ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أبلغوا أقوامهم ما يكون من البعث بعد الموت، والحساب، ثم الجنة أو النار، وأنهم طلبوا الاستعداد لذلك اليوم العظيم بالإيمان بوحدانية الله والأعمال الصالحة. وهذا أمر متفق عليه في الشرائع السماوية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢].

ومما لا شك فيه احتواء التوراة الأصلية ذكر اليوم الآخر، وقد أعلم الله تعالى كليمه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بذلك عندما أوحى إليه أول مرة، فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٤ – ١٥]، إلا أنّ يد التحريف أخفت نصوص الآخرة الصريحة من التوراة الحالية (الأسفار الخمسة).

وقد بشّر الله تعالى المقاتلين في سبيله بنعيم الجنة في التوراة والإنجيل والقرآن، في إثباتٍ لنعيم الآخرة فقال جلّ شانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [التوبة: ١١١]، والمسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخبر قومه عن اليوم الآخر وحذرهم جهنم، فمن ذلك قوله: "وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ" [متّى:٥: ٢٢].

وفي عهد نبينا محمدﷺ كان اليهود والنصارى يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب، فقد نقل القرآن الكريم إيمانهم وزعمهم أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى، يقول تعالى:﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]، وثبت في السنة المطهرة إيمان اليهود بعذاب القبر(١)، وهو أول مراحل الآخرة؛ وعليه فالقرآن الكريم والسنة المطهرة أثبتا إيمان اليهود باليوم الآخر ونعيمه وعذابه.

وأما أسفار التوراة الحالية (الأسفار الخمسة) وبقية أسفار العهد القديم، فقد تباينت مواقف علماء الإسلام: أتضمنت اليوم الآخر أم لا؟ فاختلفوا بين مثبت وناف حسب التفصيل الآتي:

المبحث الأول

اليوم الآخر في التوراة (الأسفار الخمسة) بين المثبتين والنافين

اختلف علماء الاسلام: هل ورد ذكر اليوم الآخر في التوراة الحالية أم لا؟ فبعضهم أثبت ذكره فيها، وبعضهم نفى ذلك، وأبدأ بعرض موقف المثبتين.

---

(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنّ يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر". انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم(١٣٧٢)، ٢/ ٩٨.

المطلب الأول

العلماء المثبتون

أثبت بعض العلماء المسلمين ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة)، وبعضهم نفى ذلك، وأول من وقفت على كلامه من المثبتين المهتدي الطبري (ت: ٢٤٧ هـ)، وكان نصرانياً فأسلم، فتحتَ عنوان: "في الرد على من زعم أنّ القيامة لم يذكرها أحد غير المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ" قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد قالت النصارى: إنه لم يعرف القيامة، ولم يبشر بالبعث والنشور أحد غير المسيح، وقد - لعمري - بشّر بها، وصرّح بالقول فيها، وشرفه الله تشريفاً يفوق السبقة، غير أنّ الأنبياء قبله كانوا يعرفونها ويذكرونها. قال موسى النبي عن الله تعالى: (أنا وحدي وليس إلهٌ سواي، أنا أميت وأحيي) [سفر التثنية: ٣٢: ٣٩]"[١].

قلت: يظهر أنّ الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ اعتبر أنّ الإحياء في النص السابق هو البعث بعد الموت، لكنه لم يُفصل الكلام في ذلك، وأورد بعده مباشرة نصوصاً من أسفار الأنبياء على الآخرة، سأوردها في المبحث الثاني.

ومن العلماء المثبتين أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي[٢] (ت:٦٥٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: "المعلوم أنّ آدم كان يأكل في الجنة ويشرب وينكح، فإن

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، علي بن ربن الطبري، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي وهو غير القرطبي المفسر المشهور المتوفى(٦٧١هـ) الذي اختلط اسمه على بعض الباحثين. وانظر تحقيق ذلك في بحث محكم بعنوان: موقف علماء المسلمين من النصرانية، أبو العباس القرطبي وكتابه الإعلام أنموذجاً، د. محمد عوض الشهري، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٤٣، ١٤٣٨هـ، ص ٤١ - ٤٤.

قالوا: الجنة التي كان فيها آدم قبل هبوطه إلى الأرض إنما كانت في الأرض، وهي جنة عدن التي قال فيها في التوراة (وغرس الله فردوساً بعدن من قبل وأسكنه آدم)، وإنما كانت تلك بستاناً من بساتين الدنيا، قلنا ليس في التوراة نصٌّ قاطع يدل على أنّ الجنة التي يرجع الناس إليها يوم الجزاء ليست هي التي أسكن الله فيها آدم، بل التوراة محتملة لذلك، وأما كتابنا فيدل على أنها هي(١)"(٢).

قلت: يلاحظ أنّ أبا العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكد أنّ جنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي جنة الآخرة، ثم عدّ هذا - ضمناً - أمراً مجملاً، وأما التفصيل والوعد بالجنة والوعيد بالنار فإنه لم يرد على لسان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما ذكر القرطبي نفسه(٣).

ومن العلماء المثبتين القرافي (ت: ٦٨٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك في معرض رده على شبهةٍ لأهل الكتاب حول معتقد المسلمين بوجود النعيم الجسماني - من أكل وشرب ونكاح - في الجنة، فرد عليهم من كتبهم التي تضمنت النعيم الجسماني في الجنة، من خلال إثباته أنّ الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الأكل منها هي من الجنة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فنصت التوراة على أنّ المأكولات في الجنة"(٤)، وقال بعدها بقليل:" كثر التنبيه في شرعنا على أحوال الآخرة أكثر من التوراة والإنجيل، حتى لم يُكثر اللهُ تعالى ذكرَ شيءٍ في القرآن أكثر من ذكر البعث، وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن

(١) معلوم اختلاف علماء الاسلام هل جنة آدم هي جنة الخلد أم لا؟ ويظهر أنّ القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يميل إلى أنها جنة الخلد.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ١/ ٤٣٥ - ٤٣٦، أبو العباس القرطبي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.

(٣) الإعلام، أبو العباس القرطبي، ١/ ٤٣٦.

(٤) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص ٩٧ .

يُبۡعَثُوٓاْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] وهو كثير "[١].

وكذلك الجعفري (ت:٦٨٨هـ) فقد أثبت رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الجنة في التوراة، معتبراً أنّ جنة عدن المذكورة في سفر الخليقة (التكوين) هي الجنة الموعودة وليست بستانـاً، يقول: "فهذه نبوات أنبياء بني إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت بما نطق به الكتاب العزيز، من اشتمال دار الثواب على الطعام والنكاح والشراب. فإن قال اليهود: ما حكيتَه عن التوراة من الجنة محمولٌ على بستان من بساتين الدنيا، ولا ينكَر تسمية الجنة بستانـاً، والبستان جنة. قلنا: يا إخوان القرود ومشاركي ثمود، إنما قالت التوراة: إنّ الله أسكن آدم فردوسـاً في جنة عدن، وجعل فيه من كلّ شجرةٍ طيبة المأكل، وقال لآدم: جعلت لك كل شجر الجنة مأكلاً[٢]. والله تعالى يقول: إنه فردوس في الجنة، وأنتم تقولون: بل بستان وحديقة في الدنيا، ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام: إنّ الله كلمهما وتهددهما، ثم صنع لهما سرابيلات[٣] من الجلود، وأرسلها من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم وأهبطهما للحرث[٤]"[٥].

---

(١) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، ص ٩٨.

(٢) جاء في سفر التكوين:" وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً..»" [تكوين: ٢: ١٥ – ١٦]

(٣) سرابيلات جمع سربال، والسربال: القميص من أي جنس كان. المفردات للأصفهاني، ١/ ٤٠٦.

(٤) ورد النص الآتي:" وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا...، فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا " [تكوين:٣: ٢١ – ٢٣]

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل،١/ ٢١٦، صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق د. محمود قدح، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الرياض، السعودية.

قلت: يلاحظ إقامة الجعفري الحجة على اليهود والنصارى من خلال جنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المذكورة في التوراة. ويظهر أنّ الأعلام السابقين اتفقت آراؤهم في ذكر الآخرة في التوراة محتجين بجنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الواردة فيها.

ومن العلماء القائلين بوجود أشياء مجملة عن الآخرة في التوراة ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله، وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب، ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء. وإن كان ذكر المعاد موجوداً في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى، وقد قيل إنّ ذلك مذكور في التوراة أيضـاً، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة"(١).

يلاحظ أنّ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ الكلام وأنهاه بوجود ذكر في التوراة عن اليوم الآخر بشكل إجمالي دون تفصيل وبسط، وقد مال إلى هذا الرأي فأكده وكرره في موضعين آخرين فقال: "وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمورٌ مجملة"(٢)، ثم أكد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرها في كتب النبوات؛ أي: في العهد القديم كما يظهر في كلامه في الفقرة السابقة.

وإلى مثل ذلك الإجمال ذهب ابن القيم (ت:٧٥١ هـ) حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة، والجنة، والنار، ولهذا

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ج٢، ص٧٩.

(٢) الجواب الصحيح، ١/ ٣٣٠، وكررهُ في: ٥/ ٢٩٤.

كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، فهو يأتي بأمور كثيرة لا توجد في التوراة والإنجيل"(١).

ومن العلماء الذين ذهبوا إلى هذا الرأي الشيخ عبد العزيز آل معمر(ت: ١٢٤٤هـ)، إذ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنّ القرآن جاء بموافقة التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأنبياء في الخبر عن الله تعالى وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك تفصيلاً وبيانـًا، وبيَّن الأدلة والبراهين على ذلك"(٢).

ويلاحظ في المواقف السابقة أنها وردت في بابين؛ الأول: الرد على أهل الكتاب الذين أنكروا وعابوا الأكل والشرب والجماع في الجنة، والثاني: إثبات هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة بشواهد وأدلة، ومنها التفصيل لأحداث يوم القيامة ونعيمه وعقابه لما لم يرد في التوراة.

ويلاحظ من كلام العلماء الذين تقدم ذكرهم أنهم أثبتوا ذكر الآخرة في التوراة بشكل مجمل، بخلاف الشوكاني الذي تميز موقفه عن أكثر العلماء كما سيأتي.

۞ موقف الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من العلماء البارزين الذين أثبتوا ذكر اليوم الآخر في التوراة (الأسفار الخمسة) الشوكاني (ت:١٢٥٠ هـ)، الذي أفرد رسالة خاصة سماها: "المقالة الفاخرة في بيان

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، ١/ ٣٣٠. و أيضا: ١/ ٣٣٩.

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب، عبد العزيز بن حمد آل معمر، ١/ ٢٣٩، تحقيق د. محمد السكاكر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، إصدار الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض.

اتفاق الشرائع على الدار الآخرة"[١]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان رئيس (في بيان اتفاق الشرائع على إثبات المعاد): "اعلم أنه قد سبق لي تأليف رسالة في هذا، سميتها: المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة. ولما كان هذا هو أحد المقاصد الثلاثة التي جمعت لها هذا المختصر، فإنّ ذكر بعض ما في كتب الله عَزَّوَجَلَّ مما يتعلق به لازما، ففي التوراة في أولها عند الكلام على ابتداء الخليقة التصريح باسم الجنة، ولفظه: (فغرس الله جناناً في عدن شرقيا)"[٢]. فهذا إثبات من الشوكاني للجنة من خلال اللفظ الصريح حسب رأيه.

وعن ذكر النار قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكما وقع التصريح في التوراة بالجنة كما ذكرنا، فقد وقع التصريح فيها باسم النار، ولفظها في التوراة (شول واشي)، قال علماء اليهود: ومعنى اللفظين جهنم، وفي موضع آخر في التوراة ما لفظه: (وإنّ الله خلق خلقاً وتفتح الأرض فاها، فينزلون إلى الثرى، هؤلاء القوم الذين عصوا الله، وقال: أحجب رحمتي عنهم وأريهم عاقبتهم، وكما أنهم كادوني بغير إله وأغضبوني بغروراتهم، كذلك إني أكيدهم؛ لأنّ النار تتقدح من غضبي، وتتوقد إلى أسفال الثرى، فتأكل الأرض ونباتها، حتى تستطلع أساسات الجبال، كذلك أزيد عليهم شروراً وسهامي أفرقها فيهم) انتهى، وفي الفصل الثاني عشر من السفر الثالث من التوراة ما لفظه: (واحفظوا رسومي وأحكامي؛ فإن جزاء من عمل بها أن يحيا الحياة الدائمة) انتهى، ولا حياة دائمة في الدنيا بل في الآخرة، وفي التوراة

---

(١) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، ص١٠، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ص ١٠.

من النصوص على هذا المعنى كثير"[١].

وتعقب الشوكاني كلام النافين؛ فقال منكراً على ابن سينا (ت:٤٢٨ هـ) وابن أبي الحديد (ت:٦٥٥ هـ): "..كما فعل ذلك ابن سينا، وتبعه ابن أبي الحديد في شرح (النهج)، بل جاوز ما قاله هذا إلى ما هو شر منه، فقال: إنّ التوراة لم يأت فيها وعد ووعيد يتعلق بما بعد الموت. وهذه فرية على التوراة، وجحد لما فيها، وتحريف لما صرحتْ به في غير موضع كما قدمنا بعض ذلك"[٢].

وقد أكد الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ من نفى ذكر اليوم الآخر في التوراة فإنه مخالف للملل الثلاث؛ وعقّب على كلام النافين فقال: ".. فأوضحنا أنّ ذلك مخالفٌ للملة اليهودية، ولما جاءت به التوراة وما قاله علماء اليهود، ومخالف لما جاءت به الملة النصرانية، ولما جاء به الإنجيل، وما قاله علماء النصارى، ومخالف أيضـًا لما جاء به أنبياء بني إسرائيل، وما نطقت به كتبهم حسبما قدمنا، ومخالفٌ لما كان من الأنبياء المتقدمين على بعثة موسى...، وكما يحكي ذلك عنهم القرآن الكريم وما كانوا يدينون به كقوله سبحانه حاكيـًا عن اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:١١١]" إلى آخر الآيات الكريمة التي أوردها[٣].

❁ **تعقيب:**

يلاحظ على كلام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يأتي:

أولا: أورد الشوكاني في النص الأخير ذكر "الحياة الدائمة"، ولكنني بعد

---

(١) المرجع السابق، ص ١١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣) انظر: إرشاد الثقات للشوكاني، ص ٢١ – ٢٢.

البحث لم أجد كلمة "الدائمة"، وجدت النصّ هكذا: "٤ أَحْكَامِي تَعْمَلُونَ، وَفَرَائِضِي تَحْفَظُونَ لِتَسْلُكُوا فِيهَا. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. ٥فَتَحْفَظونَ فَرَائِضِي وأَحكامي، التي إِذا فَعَلَهَا الإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا. أَنَا الرَّبُّ" [لاويين:١٨: ٤ – ٥] وكذلك في النسخة اليسوعية[١].

ولو كانت جملة "الحياة الدائمة" موجودة هكذا صريحةً في التوراة لاشتهرت، ولكانت فيصلاً وحجة واضحة في إثبات الحياة الأبدية في الآخرة، إلا أنها غير موجودة، ولم أقف على أحد أوردها قديماً أو حديثاً غير الشوكاني، والله أعلم. ومع ذلك فيمكن الإجابة عن ذلك بأنّ الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتمد نسخة من التوراة التي بأيدي بعض يهود اليمن، الذين ربما أضافوا هذه الكلمة. والله أعلم.

ثانيا: يلاحظ كيف بلغ الحال بالشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ثقته بذكر الآخرة في التوراة، أنه عدّ القول بخلوها من اليوم الآخر افتراءً وجحداً وتحريفاً لما في التوراة.

وإلى هنا ينتهي الكلام على موقف الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويظهر بجلاء أنه أشد العلماء المسلمين المثبتين والمدافعين عن ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة).

۞ رأي الباحث:

يظهر للمتأمل في التوراة الحالية وصول أصابع التحريف إلى محو

---

(١) وردت في اليسوعية هكذا: "اعملوا بأحكامي واحفظوا فرائضي وسيروا عليها، أنا الربّ إلهكم، فاحفظوا فرائضي وأحكامي، فمن حفظها يحيا بها، أنا الربّ" [سفر الأحبار: ١٨: ٤ – ٥].

النصوص الجلية المثبتة لليوم الآخر، ويترجح عندي أنّ نصاً صريحاً أو أكثر عن اليوم الآخر قد أزيل من بداية سفر الخروج، حيث أول تكليم إلهي لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما يبرز ذلك في القرآن الكريم لقوله سبحانه: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٣ - ١٦] والله أعلم وأحكم.

لكن تجدر الإشارة إلى وجود نصٍّ ظني في سفر التثنية، وقد أورد الطبري المهتدي جزءاً منه، وهو: "أنا هو وليس إله غيري، أنا أميت وأحيي"(١). ويحتمل أنّه يتحدث عن اليوم الآخر، وكامل النص هو: "أَلَيسَ ذلكَ مَكْنوزًا عِنْدي، مختُومًا عليهِ في خَزائِنِي؟ ٣٥لِيَ النَّقْمَةُ وَالجزاءُ فِي وَقتٍ تَزِلُّ أَقدَامُهُمْ. إنَّ يومَ هَلاكِهِمْ قَريبٌ والْمُهَيَّآتُ لَهمْ مُسْرعَةٌ. ٣٦ لأَنَّ الرَّبَّ يَدِينُ شَعْبَهُ، وَعَلَى عَبيدِهِ يُشْفِقُ. حِينَ يَرَى أَنَّ الْيَدَ قَدْ مَضَتْ، وَلَمْ يَبْقَ مَحْجُوزٌ وَلاَ مُطْلَقٌ، ٣٧يَقُولُ: أَيْنَ آلِهَتُهُمْ، الصَّخْرَةُ الَّتِي الْتَجَأُوا إِلَيْهَا، ٣٨الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ شَحْمَ ذَبَائِحِهِمْ وَتَشْرَبُ خَمْرَ سَكَائِبِهِمْ؟ لِتَقُمْ وَتُسَاعِدْكُمْ وَتكُنْ عَلَيْكُمْ حِمَايَةً! ٣٩اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ. ٤٠إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. ٤١إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ، وَأَمْسَكَتْ بِالْقَضَاءِ يَدِي، أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِي، وَأُجَازِي مُبْغِضِيَّ" [تثنية:٣٢: ٣٦ - ٤١].

ومعلوم أنّ الكفار ليس لهم من يحميهم يوم الحساب، فالله يقاضي عباده

---

(١) انظر: ص٤١٥ من البحث.

وينتقم من أعدائه وأضداده.

قلت: لعل هذ النص - بالإضافة إلى جنة آدم - هو ما قصده المثبتون بوجود أشياء مجملة عن اليوم الآخر في التوراة، ونص سفر التثنية هذا يمثل هذا الإجمال، مع أنه غير أكيد، وخاصة أنّ يوم القيامة من أصول ما اتفقت عليه الأديان، فلا بد أن يكون ذكره جلياً؛ تعليماً للناس؛ للإيمان به والاستعداد له، ولتقام عليهم الحجة به.

۞ نتيجة آراء العلماء الذين أثبتوا ذكر اليوم الآخر في التوراة:

يلاحظ أنّ الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشد العلماء تأييداً لهذا القول، ودفاعاً، عنه وإنكاراً على المخالفين. ويلاحظ أنّ أكثر العلماء المثبتين نصوا على ذكر الآخرة في التوراة بشكل مجمل دون تفصيل؛ لأنّ التفصيل غير موجود في التوراة الحالية. كما يلاحظ أنّ إثباتهم وردَ في معرض موازنتهم بما ورد في القرآن الكريم من تفاصيل كثيرة ودقيقة عن اليوم الآخر، وأنها أعظم وأكثر مما في جميع أسفار أهل الكتاب بأضعاف. وأنّ القرطبي في كتابه "الإعلام" أول من ذكر ذلك. وإذا استثنيتنا ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيمكن القول: إنّ علماء الأديان هؤلاء قد أثبتوا ذكر الآخرة في التوراة الحالية بشكل مجمل.

وأما نصّ سفر التثنية السابق فإنه يبقى نصاً مجملاً وغير جلي، وبالنسبة إلى جنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي أُخرج منها، فإنه لا يمكن الجزم بأنها جنة الآخرة أو جزءٌ منها؛ بل هو أمر ظني؛ وعليه فلا يمكن الحكم بوجود ذكر لليوم الآخر في التوراة الحالية، إلا لمن دقق النظر، ومعلوم أنّ يوم القيامة من أركان الإيمان المهمة في الأديان الثلاثة، فلا بد أن يكون ذكره جلياً لا غامضًا، ومفصلاً لا مجملاً؛ وعليه

يكون من نفى ذكر الآخرة في التوراة الحالية مصيبـًا، أو على الأقل معذوراً، ومن أثبتهُ مجملاً بعد تأمل ونظر يكون مصيبـًا أيضـًا، والله أعلم.

المطلب الثاني

العلماء النافون

تكلم العديد من العلماء على خلو التوراة بأسفارها الخمسة من ذكر اليوم الآخر. وأبدأ بالقدامى:

۞ **أولا: موقف ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يعد الإمام ابن حزم (ت:٤٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبرز علماء الاسلام في الأديان. وهو أبرز الذين نفوا ذكر اليوم الآخر من التوراة (الأسفار الخمسة) وقد جزم بذلك غيرَ مرة. وقد وقفت على ثلاثة مواضع في كتابه "الفصل" وموضع رابع في كتابه "الرد على ابن النغريلة". وفي المواضع الثلاثة الأولى نفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة)، وهي:

أولا: نفى ذكر الآخرة في التوراة، وشبّه دين اليهود بالدهريين الملحدين فقال: "ليس في توراتهم ذكر المعاد أصلاً، ولا الجزاء بعد الموت، وهذا مذهب الدهرية(١)"(٢).

---

(١) الدهرية:قوم يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع. انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الاسفراييني، ١/ ١٤٩، تحقيق: كمال الحوت، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ٣٠٩.

ثانيا: وفي الموضع الثاني تكررت العبارة نفسها تقريبـًا، فقال: "وأما التوراة التي بأيدي اليهود فليس فيها ذكرٌ لنعيم في الآخرة أصلاً ولا لجزاء بعد الموت ألبته[١]".

ثالثا: قال في موضع ثالث عن فرقة السامرة[٢]: "ولا يقرون بالبعث البتة[٣]".

رابعا: قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردّه على ابن النغريلة اليهودي: "ليس في حماقاتهم المبدَّلة التي يسمونها (التوراة) ذكر أجر ولا ثواب لمحسن بعد الموت، ولا عقاب لمسيء في الدنيا أصلاً.."[٤]، وهكذا نجد موقف ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ واضحـًا في تأكيده نفي ذكر الآخرة في التوراة.

❁ تعقيب على راي ابن حزم:

يظهر بوضوح وفي عدة مواضع إنكار ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرَ اليوم الآخر في التوراة، بخلاف العلماء المثبتين. كما يظهر أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمّم عدم إيمان السامرة بالبعث مطلقـًا دون تفريق. وفي هذا نظر.

والصحيح ما ذهب إليه الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) الذي فرّق بين طائفتين من السامرة، فقال:"وافترقت السامرة إلى دوستانيه[٥] وهم الألفانية[١]، وإلى

---

(١) الفصل لابن حزم، ٢/ ٢٦١.

(٢) السامرة: فرقة يهودية لا يؤمنون بنبي غير موسى وهارون ولا بكتاب غير التوراة. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، عمر بن محمد الرازي، ص٨٣.

(٣) الفصل لابن حزم، ١/ ١٧٨.

(٤) الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، ص ٥٦.

(٥) الدوستانية: تعني الفرقة المتفرقة الكاذبة، انظر الملل والنحل للشهرستاني، ٢/ ٢٤٣. وذكرها المسعودي فقال: "السامرة وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن".
=

كوستانية[٢] وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها. والدوستانية تزعم أنّ الثواب والعقاب في الدنيا"[٣].

والخررجي (ت: ٥٨٢ هـ) من القدامى الذين نفوا ذكر الآخرة في التوراة. يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه مقامع الصلبان: "أما التوراة التي بأيديكم إلى اليوم فلا ذكر فيها للآخرة، ولا لبعث، ولا لحشر الأجساد، ولا لشيء من أحوال يوم القيامة"[٤].

ومن النافين أيضـًا الشيخ رحمة الله الهندي (ت:١٣٠٨هـ)، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يوجد في الأناجيل ذكر القيامة وجزاء الأعمال والجنة والجحيم، وذلك بالإجمال، ولا أثر لذلك في كتب موسى الخمسة، بل كل ما فيها مواعيد دنيوية للمطيعين وتهديدات دنيوية للعاصين"[٥].

ويظهر نفي الخزرجي والهندي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ذكر الآخرة في التوراة.

=

انظر: التنبيه والإشراف، علي المسعودي، ١/ ١٨٢.

(١) الألفانية: فرقة من السامرة اليهود، سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل ظهر في السامرة يقال له الألفان، ادعى النبوة، وزعم أنه هو الذي بشر به موسى، وكان ظهوره قبل المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقريب من مائة سنة. انظر: الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني، ٢/ ٢٤٢.

(٢) الكوستانية: تعني الجماعة الصادقة، المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٣) الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني،٢/ ٢٤٣.

(٤) مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، ص ١٨٤، نشرية مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تحقيق وتقديم عبد المجيد المشرفي، بدون تاريخ.

(٥) إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي، ١/ ١٧٠ - ١٧١، تحقيق د. محمد الملكاوي، ط١، ١٤١٥هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية.

وهؤلاء هم العلماء القدامى الذين وقفت عليهم ممن نفوا ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة).

۞ ثانيا: العلماء المعاصرون:

يُعدّ الدكتور عبد الواحد وافي من أشهر المعاصرين الذين نفوا ذكر الآخرة في التوراة؛ حيث يقول مصرحاً بذلك: ".. ولكنّ أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه"(١). ويلاحَظ أنه عمّم الحكم على كل العهد القديم فتدخل فيه التوراة، . ومن أشهرهم أيضاً الدكتور أحمد شلبي(٢)، والدكتور عبد الوهاب المسيري في جزء المفاهيم والفرق من موسوعته الشهيرة(٣)، والدكتور حسن ظاظا(٤)، وكذلك محمد الغزالي(٥)، والدكتور فرج الله عبد الباري(٦)، ومن المعاصرين النافين أيضاً الدكتور المهتدي الدكتور أحمد سوسة(٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٩.
(٢) اليهودية، د. أحمد شلبي، ص ١٩٤ – ١٩٥، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، ٥/ ٤٤٠، دار الشروق، طبعة الكترونية.
(٤) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص ١١١، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م.
(٥) انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ص ١٢٦ – ١٢٧، دار الشروق، القاهرة، بدون طبعة.
(٦) يوم القيامة بين الاسلام والمسيحية واليهودية، د. فرج الله عبد الباري، ص ١٥٨.
(٧) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٩٣، ط٢، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، سوريا.

❁ **نتيجة:**

يلاحظ على العلماء الذين نفوا ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة) أنهم لم يتعرضوا بذكرٍ أو نقدٍ لذكر الجنة المذكورة في سفر التكوين في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يشيروا إلى أنها جنة في الدنيا أو غيرها، كما لم يتعرض أحدٌ منهم لذكر نصّ سفر التثنية [تثنية: ٣٢: ٣٦ - ٤٢] - عدا الدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور فرج الله عبد الباري الذي ناقش هذه الجزئية وشكك فيها، لكنه لم يجزم بأنّ النص لا يدل صراحة على الآخرة[١]. كما لم يتناول أحدٌ من النافين موقف المثبتين، سواء من المفصلين مثل الشوكاني، أو المجْملين كالقرافي وابن تيمية وغيرهم.

المبحث الثاني

اليوم الآخر في بقية أسفار العهد القديم

بين المثبتين والنافين

بعد الحديث عن النافين والمثبتين ذكرَ الآخرة في التوراة والكشف عن اختلاف جليّ في ذلك، أتناول الآن الحديث عن النافين والمثبتين ذكر الآخرة في بقية أسفار العهد القديم، والبدء مع المثبتين.

---

(١) يوم القيامة بين الاسلام والمسيحية واليهودية، د. فرج الله عبد الباري، ص ١٥٨.

المطلب الأول

العلماء المثبتون

۞ أولا: العلماء القدامى المثبتون:

لا شك أنّ العلماء الذين أثبتوا ذكر الآخرة في التوراة (الأسفار الخمسة) قد أثبتوا من باب أولى ذكرها في بقية أسفار العهد القديم، نظراً لوجود نصوص عديدة أوضح وأكثر صراحة من نصوص التوراة المجملة.

لقد أكد أشهر علماء الأديان ذكر الآخرة في العهد القديم، وأولهم المهتدي علي بن ربن الطبري في كتابه الدين والدولة، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد قالت النصارى إنه لم يُعرِّف القيامة ولم يبشِّر بالبعثة والنشور غير المسيح، غير أنّ الأنبياء قبله قد كانوا يعرفونها ويذكرونها". ثم أورد نقولاً عن بعض الأنبياء في هذا[1]. ومما أورده الطبري من المزامير: "إنّ الجبابرة يبعثون ويُنشرون ويمجدون لك يا ربّ، ويخبرون أنّ في القبور نعمتك"[2]، وقال دانيال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "إنه سيبعث من الأجداث

قوم كثير، بعضهم إلى الحياة الدائمة، وبعضهم إلى البوار لتوبيخ نظرائهم إلى الأبد"[3].

---

(١) انظر: الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) لم أعثر عليه ولكن وقفتُ على هذا النص: "كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ، وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ" [مزمور:٨٦: ٩].

(٣) في اليسوعية: "وكثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي" ص ١٨٨٥.

والخزرجي (ت: ٥٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردّه على النصارى أورد عدة نصوصاً عن النعيم الجسماني في الجنة، ومنها: قول أشعياء: "يا معشر العطاش، توجهوا للماء للورد، فمن له فضة فليذهب ليأكل ويشرب ويأخذ من اللبن والجبن بلا فضة ولا ثمن(١)"(٢). قال الباحث ناجي داود: "والظاهر أنّ هذا وعدٌ على العمل الصالح بالمجازاة والأكل والشرب من الجنة"(٣). وكذلك القرطبي صاحب كتاب (الإعلام) الذي ذكر أنّ كلام الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يُثبتون ذكر النعيم الجسماني(٤)، واستدل لذلك بجنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكلام أشعياء السابق الذي أورده الخزرجي.

ومنهم القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال: "تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسماني، وهو كثير في كتبهم، ولكنهم قوم لا يعقلون"(٥).

والجعفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد نصوصاً من العهد القديم، منها: قول دانيال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "سيبعث من الأجداث قوم كثير، بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار". وقول داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "الله باعثهم وناشرهم من بين أنياب السباع ومن لجج البحار". وقول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "من ترك زوجة من أجلي في الدنيا فإنه

---

(١) «أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا"[إشعياء:٥٥: ١].

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: تحقيق ودراسة وتعليق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، للباحث ناجي محمد داود،١/ ٣٨٠، ١٤٠٤ – ١٤٠٥هـ.

(٤) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ص ٤٣٤ – ٤٣٦.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص ٩٨.

يعطى مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة"[١]، ثم قال بعدها: "فهذه نبوات أنبياء بني إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت بما نطق به الكتاب العزيز من اشتمال دار الثواب على الطعام والنكاح والشراب"[٢].

فائدة: من أثبت من العلماء والباحثين ذكر الآخرة في العهد القديم فلأنه وقف على النص، وهو مقدمٌ على من نفى؛ لأنّ من نفى لم يقف على نص، وهذا يدعم موقف المثبتين ويقويه.

وأما ابن تيمية فقد تقدم كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، وأورده مرة أخرى، حيث قال: "... وإن كان ذكر المعاد موجوداً في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى، وقد قيل إنّ ذلك مذكور في التوراة أيضـًا، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة"[٤]، فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد ذكر الآخرة وبسطه في كتب النبوات؛ أي: كتب الأنبياء، أي في أسفار العهد القديم غير التوراة.

۞ نتيجة:

يلاحظ على كلام المتقدمين: أنهم لم يوردوا نصوصـًا كثيرة على الآخرة، بل قليلة، وتكاد تكون محصورةً في نص دانيال وإشعيا وبعض عبارات الزبور التي تتفاوت ترجمتها، علمـًا أنه يوجد نصوص عديدة أكثر وضوحـًا مما

---

(١) النص هو: "٢٩وكلُّ مَنْ تَركَ بُيوتًا أَو إِخوةً أَوْ أَخواتٍ أو أبا أو أُمًّا أو امرأةً أو أَولاداً أو حقولاً من أَجل اسْمِي، يأخذُ مئةَ ضِعفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديَّةَ"[متّى: ١٩: ٢٩].

(٢) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل، ١/ ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) ص ٤١٨.

(٤) الجواب الصحيح، ٢ / ٧٩.

ذكروا[١]، وربما يعود سبب ذلك إلى أنّ إيراد تلك النصوص لم يكن مقصوداً لذاته، فلم يخصصوها بدراسة مفصلة، ولم يتتبعوها بقدر ما اهتموا بالرد على شبهة النصارى في إنكار النعيم الجسماني في الآخرة؛ لذلك اكتفوا باليسير من النصوص، والله أعلم.

۞ ثانيا: العلماء المعاصرون المثبتون:

من المعاصرين المثبتين: د. حسنين فؤاد علي الذي يقول عن عقيدة اليهود: "إنّ حياة الإنسان على الأرض ليست إلا جزءاً يسيرًا من وجوده الذي سوف يستمر في العالم الآتي، وتبقى أرواح البشر حية حياة لا نهاية لها، وتعرف بالحياة الأبدية، أو جنة عدن، أو عالم الأرواح مسكن الصالحين بعد الموت"[٢]. ومنهم الدكتور حسن ظاظا[٣]، والدكتور أحمد حجازي السقا[٤]، والدكتور محمد خليفة حسن[٥]، والدكتور أحمد سوسة[٦]، والدكتور فرج الله عبد الباري[٧]، والدكتور أسعد السحمراني[٨] الذي أكد أنّ التوحيد واليوم الآخر ركن إيماني مشترك بين أتباع الرسالات السماوية فقال: "ونصوص العهد القديم وفق ما هي

---

(١) ينظر نماذج من نصوص الآخرة في المبحث الثالث.
(٢) اليهودية واليهودية المسيحية، د. فؤاد حسنين علي، ص ١١٧.
(٣) الفكر الديني الاسرائيلي، د. حسن ظاظا، ص ١١١. ونفى ظاظا ذكر الآخرة في التوراة وأثبتها في بقية الأسفار.
(٤) نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، د. أحمد حجازي السقا، ص ٣١٢.
(٥) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن، ص ١٦٠ – ١٦١.
(٦) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ١٩٤.
(٧) يوم القيامة بين الاسلام واليهودية والمسيحية، د. فرج الله عبد الباري، ص ١٦٠ – ١٦٤.
(٨) ترجمان الأديان، د. أسعد السحمراني، ص ٢٢٥ – ٢٢٧.

عليه بعد تدوين كتّابه لم تخرج عن هذه القاعدة، فقد أكدت على حياة آخرة، ومصير ينتظر كل إنسان، وأنّ الناس مصنفون بين أبرار وكفار، ولكلٍ جزاء ما اقترفت يداه"[١]. وأيضا الدكتور عبد الوهاب المسيري[٢] والدكتورة يُسر مبيض[٣] وغيرهم. ويلاحظ أنّ هؤلاء الباحثين وقفوا على نصوص الآخرة في العهد القديم من غير التوراة، وأوردوها في كتبهم.

المطلب الثاني

العلماء النافون، والبداية مع القدامى منهم

۞ أولا: الامام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعد الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول من وقفت عليه ممن نفى ذكر اليوم الآخر في جميع أسفار العهد القديم؛ بل لم أقف على أحد من القدامى غيره نفى ذكر الآخرة من جميع أسفار العهد القديم. فأما نفيه ذكر اليوم الآخر في التوراة فيعد أمراً طبيعيـًا، نظراً لعدم وضوح النص الوحيد الوارد فيها في سفر التثنية، إضافة إلى أنّ اليهود أنفسهم يقرون بهذا، كابن كمونه، الذي حاول تبرير خلو التوراة من الثواب والعقاب الأخرويين، فقال: "إنّ عدم ذكر ذلك في التوراة لا يضر"[٤]، لكنّ اللافت للنظر أنّ ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سحب هذا الحكم وعمّمه على بقية أسفار الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فقال: "ليس في حماقاتهم المبدلة التي يسمونها التوراة ذكر

---

(١) ترجمان الأديان، د. أسعد السحمراني، ص ٢٢٥.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، ٥/ ٤٤٣ .

(٣) اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات السابقة، د. يسر مبيض، ص ٥٣ – ٥٥.

(٤) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، سعد بن كمونة، ص ٤٠.

أجر ولا ثواب لمحسن بعد الموت، ولا عقاب لمسيء في الدنيا، ولا في الكتب التي ينسبونها إلى أنبيائهم من هذا قليل ولا كثير. فلو نظر هذا المجنون فيما ينسبونه إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في تصويبه دعاء امرأة دعت له فقالت: ولا زالت أرواح أعدائك يدور بها الفلك؛ وهذا إبطال الثواب والعقاب إلا على معنى التناسخ ومضاد لما ذكروه عن غيره من الأنبياء أنّ هنالك ناراً ونعيماً"(١).

❁ تعقيب:

يظهر أنّ ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ لم يقف على نصٍ عن الجنة والنار، لتصريحه بذلك كما تقدم، فاكتفى - بناء على النص السابق - بذكر ما قاله اليهود وتناقلوه شفهياً دون قراءة نص أو الترجمة له، فحكمه بعدم وجود ذكر للثواب والعقاب كان بناءً على افتقاده من النصوص، وهو الذي جزم به، مع أنه حكى - آخر الفقرة - نقلهم عن الأنبياء ذكر النار والنعيم. وسيتبين للقارئ أنّ ما جزم به ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ مخالف لواقع النصوص، فإنه يوجد في كتب أنبياء بني إسرائيل نصوص عديدة وصريحة عن البعث والجزاء بعد الموت(٢). وأودّ التأكيد على أنّ كلام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقرة السابقة يتضمن ما يأتي:

أولا: تأكيده خلو جميع كتب الأنبياء من ذكر اليوم الآخر، مع أنّ الله تعالى أعلمنا أنّ القرآن الكريم مصدق لما بين يديه، وعلى أساس هذا التصديق أمر الله أهل الكتاب أن يؤمنوا بالقرآن والنبي محمد ﷺ، فلا بد أن يكون في أسفار اليهود التي كانت وقت تنزل القرآن بقايا عن اليوم الآخر، تشابه ما ورد في القرآن

---

(١) انظر: الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، ص ٥٦.

(٢) يتضمن المبحث الثالث عدة نصوص عن اليوم الآخر في العهد القديم.

الكريم، الذي فيه التفصيل الدقيق لليوم الآخر بأهواله ونعيمه وعذابه، وهذا مما يفهم من قوله جلّ شأنه: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:٤١]، فلا شك أنّ القرآن الذي كثر فيه وصف اليوم الآخر يصدّق ما بأيدي اليهود من أسفار، مع الفارق في التفاصيل الدقيقة، وفي أنه يوم فلاح لكل المؤمنين، وليس بأمة بعينها كما يزعم اليهود، ولهذا يفسر شيخ الاسلام معنى هيمنة القرآن على الكتب السابقة فيقول: "الهيمنة القيام على الشيء والرعاية له، وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله تعالى وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانـًا وتفصيلاً، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك"(١).

ثانيا: أنّ ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتحدث عن النصوص التي حذرت الإنسان ووجهته للاستعداد للحساب أو الإنذارات الكثيرة في كتب الأنبياء، التي تحذر من قدوم ذلك اليوم، الذي فيه غضب الربّ تعالى، وهلاك الأرض، وجمع الشعوب، وأبدية العذاب والنعيم(٢).

ثالثا: أنه ساوى بين اليهود وبين الملحدين الدهرية المنكرين الآخرةَ(٣)، وهذا من العجيب، فالسواد الأعظم من اليهود بخلاف ذلك، فهم يؤمنون بالقيامة والجنة والنار(٤)؛ وعليه فابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفى أيَّ ذكر لليوم الآخر من أسفار

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٧، ص٤٤.

(٢) خصصت المبحث الثالث للنصوص العامة والتفصيلية لليوم الآخر.

(٣) انظر: الفصل لابن حزم، ج١، ص ٣٠٩.

(٤) يؤمن أغلب اليهود بالجنة والنار بعد القيامة، وانظر كلام علماء اليهود ص٣١. ويستثنى من ذلك "الصدوقيون"؛ لأنهم الفرقة اليهودية الوحيدة التي تنكر البعث والحياة الأخرى وخلود النفس، فيرى الصدوقيون أنّ الثواب والعقاب إنما يكون في الحياة الدنيا. انظر مثلاً: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، مجموعة من اللاهوتيين، ص ٤٠٨. والفرق =

الأنبياء، بالرغم من أنّ واقع تلك الأسفار ونصوصها العديدة تؤكد ذكر الآخرة.

فائدة مهمة: إنّ عَلمـاً كبيراً في الأديان مثل ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكد خلو أسفار الأنبياء من ذكر الآخرة أمر محير، وله دواعيه التي ينبغي أن تخصص لها دراسة مستقلة لبحثها، وإيرادي رأيَ ابن حزم هنا لا يعني تنقص قدرهِ بمقدار ما هو بحث علمي أبرز فيه بحيادية آراءَ علمائنا الأجلاء الذين نجلهم ونقدرهم، لكن لا يقول أحد بعصمتهم.

۞ ثانيا: النافون المعاصرون:

من أبرز من وقفت عليهم من الباحثين المعاصرين النافين: د. على عبد الواحد وافي، حيث يقول: ".. ولكنّ أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه"(١)، ومنهم الدكتور أحمد شلبي(٢) الذي نقل عن "ديورانت" صاحب كتاب "قصة الحضارة"(٣)، ومنهم من تبنى وجهة نظر الدكتور علي وافي، ونقل عنه أو أحال إليه، مثل: الدكتور سعد الدين صالح(٤)، وأما الدكتور سعود الخلف فتوسط بين الفريقين فنفى ذكر الآخرة عدا نزراً يسيراً(٥).

=

والمذاهب اليهودية، عبد المجيد همو، ص٤٨.

(١) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٩.

(٢) اليهودية، د. أحمد شلبي، ص ١٩٥.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٤٥.

(٤) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين السيد صالح، ص ٢٨١.

(٥) دراسات الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ص ١١٨.

۞ تعقيب وترجيح:

يلاحظ أنّ أكثر الباحثين الذين نفوا ذكر الآخرة في العهد القديم استثنوا من ذلك إشارات، مع أنها تتضمن وصفًا واضحًا لبعض أحداث القيامة، وأوردوا النص الشهير في سفر دانيال: "إنّ كثيرين من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار إلى الإزدراء الأبدي" [دانيال: ١٢ : ٢].

أقول: إنّ نصّ دانيال السابق واضح في بعث الموتى وانقسام الناس إلى فريقين، كما أنّ تكملة النص توضح أجر العمل الصالح وعاقبته الكريمة في الآخرة، فهو نص واضحٌ في الثواب والعقاب بعد الموت، وهذا هو: "٢كَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ. ٣وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ" [دانيال: ١٢: ٢ - ٣]، وقد عدّ بعض الباحثين هذ النص إشارة للآخرة وليس تصريحـًا!! والمتأمل فيه وفي نهاية النص يلحظ أنه تصريح بالعقاب والثواب، والله أعلم.

۞ نتيجة:

يُلاحَظ تباين آراء العلماء والباحثين المسلمين قديمـًا وحديثًا في هذه المسألة، بين نافين ذكر الآخرة في جميع أسفار العهد القديم ومثبتين، والحَكَم بين الفريقين النصوصُ نفسها؛ فهي المرجحة، وفيما يأتي بعض هذه النصوص.

المبحث الثالث

نماذج من نصوص العهد القديم في اليوم الآخر

وردت عدة نصوص في أسفار الأنبياء تتحدث عن اليوم الآخر، يمكن تقسيمها إلى نصوص عامة تذكر الخير وتدعو لفعل وتذكر الشر وتدعو لتركه، ونصوص تفصيلية تصف تفاصيل ما قبل القيامة وما بعدها، وفيما يأتي نماذج النصوص العامة:

المطلب الأول

نماذج من النصوص العامة في اليوم الآخر

توجد نصوص صريحة عن القيامة في أسفار العهد القديم الأخرى غير التوراة، ومنها:

- "لاَ يَحْسِدَنَّ قَلْبُكَ الْخَاطِئِينَ، بَلْ كُنْ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْيَوْمَ كُلَّهُ. ١٨لأَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ ثَوَابٍ، وَرَجَاؤُكَ لاَ يَخِيبُ"(١) [أمثال:٢٣: ١٧ - ١٨].

قلت: يدعو النص إلى الخوف المستمر من الربّ تعالى؛ لأنّ الثواب أمرٌ حتمي، فيلاحَظ ربط العمل الصالح بالثواب الأكيد. وهذا النص ردٌّ على من نفى ذكر الثواب من قريب أو بعيد، فهذا نصٌ صريح في ثواب الآخرة، منسوب للنبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- "١فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ أَوْ تَجِيءَ السِّنُونَ،

---

(١) في اليسوعية: "لا يَغَرْ قلبك من الخاطئين، بل كن في مخافة الربّ طوال اليوم، فإنك إن حفظتها فهناك العافية، وانتظارك لا يخيب" ص ١٣٤٨.

إِذْ تَقُولُ: «لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ». ٢قَبْلَ مَا تَظْلُمُ الشَّمْسُ وَالنُّورُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَرْجعُ السُّحُبُ بَعْدَ الْمَطَرِ. ٣فِي يَوْمٍ يَتَزَعْزَعُ فِيهِ حَفَظَةُ الْبَيْتِ، وَتَتَلَوَّى رِجَالُ الْقُوَّةِ" [الجامعة: ١٢: ١ - ٣]، وهذا النص يحث على تذكر الله في أيام قوة الإنسان وشبابه، قبل أهوال القيامة، التي تبدأ بظلام الشمس والنجوم، فلا إله إلا الله الذي جعل القرآن مصدقاً لما بين يديه.

- "٩اِفْرَحْ أَيُّهَا الشَّابُّ في حَدَاثَتِكَ، وَلْيَسُرَّكَ قَلْبُكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، وَاسْلُكْ فِي طُرُقِ قَلْبِكَ وَبِمَرْأَى عَيْنَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَى هذِهِ الأُمُورِ كُلِّهَا يَأْتِي بِكَ اللهُ إِلَى الدَّيْنُونَةِ[١]. ١٠فَانْزِعِ الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَبْعِدِ الشَّرَّ عَنْ لَحْمِكَ، لأَنَّ الْحَدَاثَةَ وَالشَّبَابَ بَاطِلاَن")[٢] [الجامعة: ١١: ٩ - ١٠].

وهذا النص جليٌّ وواضحٌ، فهو يحذر الإنسان من الشر، ويخبر بأنّ الله يأتي بالإنسان للحساب، فعليه أنْ يحذر ويستعد، ولا يغتر بفتوته وشبابه، فمصيرهما البطلان والفناء. فسبحان الله العظيم!

- "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. ١٤لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَل إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا"[٣] [الجامعة: ١٢: ١٣ - ١٤].

---

(١) الدينونة: حكم الله على الناس حسب أعمالهم، انظر: قاموس الكتاب المقدس، حرف الدال، ص ٤٥٥.

(٢) في اليسوعية: "فافرح أيها الشاب في صباك، وليسعدك قلبك في أيام شبابك، وسِر في طرق قلبك وبحسب رؤية عينيك، لكن اعلم أنّ الله من أجل هذه كلها سيحضرك لتدان عليها فأقص الغمّ عن قلبك، وأبعد السوء عن جسدك، فإنّ الصبا وربيع العمر باطلان" ص ١٣٧٦.

(٣) في اليسوعية: "ختام الكلام: كلّ شيء مسموع، اتق الله واحفظ وصاياه، فإنّ هذا هو الانسان =

وهذا نصٌ صريحٌ: فيه الوصية بتقوى الله، وإحضار الأعمال كلها للحساب خيراً أم شراً، وهذا النص يصدقه قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وأقول بعد ذلك: الحمد لله الذي جعلني بسبب هذا البحث أقف على بقايا من الوحي الذي صدقه القرآن العظيم، وأكاد أجزم بأنّ من نفى ذكر الآخرة من العلماء والباحثين لم يطلع على جميع النصوص، ولو اطلع لأثبت وما نفى.

وفيما يأتي بعض النصوص التي طلبت الاستعداد ليوم المعاد في أسفار الأنبياء:

- جاء في اليسوعية: "من أطراف الأرض سمعنا تسابيح، الفخر للبارّ، فقلتُ: تبـًا لي تبـًا لي، الويل لي، الخونة يخونون، الخونة يخونون خيانة، الرعب والحفرة والفخ عليك يا ساكن الأرض، فالهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة، والصاعد من الحفرة يؤخذ بالفخ؛ لأنّ نوافد العلاء قد تفتحت، وأسس الأرض قد تزلزلت، رُضّت الأرض رضـًا، واهتزت الأرض اهتزازاً، وتزعزعت الأرض تزعزعـًا، ترنحت كما يترنح السكران، واضطربت مثل الكوخ، ثقلت عليها معصيتها، فسقطت ولا تعود تقوم"(١) [أشعياء: ٢٤: ١٦ - ٢١].

=

كلّه؛ لأنّ الله سيحضر كل عمل، فيدين كلّ خفي، خيراً كان أم شراً " ص ١٣٧٧.

(١) اليسوعية، ص ١٥٦٥.

قلت: من الواضح أنّ هذا النص يصف جانباً من الدمار الكوني، وهو المتعلق بالأرض عندما تقوم الساعة، التي فصّل الله تعالى وصفها وتفاصيلها الدقيقة في القرآن الكريم أكثر من أسفار أهل الكتاب، وهو مما صدقه القرآن الكريم. ومن ذلك قوله جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج:١ – ٢].

ومما يقرُب من النص السابق قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢﴾ [الزلزلة:١ – ٢].

– جاء في سفر الحكمة عن نهاية المنافقين وعن ثواب الصدّيقين هذا النص: "..لأنّ رجاء المنافق كغبار تذهب به الريحُ، وكزبدٍ رقيق تطارده الزوبعة، وكدخان تبدده الريح، وكذكر ضيفٍ نزل يوماً ثم ارتحل، أما الصديقون فسيحيون إلى الأبد، وعند الربّ ثوابهم، ولهم عناية من لدن العليّ، فلذلك سينالون مُلك الكرامة، وتاج الجمال من يد الربّ؛ لأنه يسترهم بيمينه وبذراعه يقيهم" [الحكمة:٥: ١٥ – ١٨].

تعليق: النص واضح جداً في وصف بعض الجزاء يوم القيامة، كأعمال المنافق كيف تكون لا قيمة لها، في حين يكرم الله تعالى الصدّيقين. ويوجد نصوص كثيرة غيرها[١]. ويظهر التشابه مع القرآن الكريم في المقابلة بين الأبرار والفجار.

وورد أيضـاً:

–"لأَنَّ الرَّبَّ بِالنَّارِ يُعَاقِبُ وَبِسَيْفِهِ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، وَيَكْثُرُ قَتْلَى الرَّبِّ. ١٧الَّذِينَ

(١) كما في هذا المبحث.

يُقَدِّسُونَ وَيُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ وَرَاءَ وَاحِدٍ فِي الْوَسَطِ. آكِلِينَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالرِّجْسَ وَالْجُرَذَ، يَفْنَوْنَ مَعًا، يَقُولُ الرَّبُّ. ١٨وَأَنَا أُجَازِي أَعْمَالَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ. حَدَثَ لِجَمْعِ كُلِّ الأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ، فَيَأْتُونَ وَيَرَوْنَ مَجْدِي"(١) [إشعياء: ٦٦:١٢ - ١٨].

هذا نص جليٌ يبين حصول الغضب الإلهي، ويبين أنّ الجنات جزاء الذي يطهرون أنفسهم، في حين يَهلك الذين يأكلون الخنزير، وفيه مجازاة الله الناس على أعمالهم ونواياهم، وأنّ كل الأمم - وليس اليهود فقط - تأتي وترى مجد الله وعظمته.

قلت: هذه عباراتٌ جلية في اليوم الآخر والثواب والعقاب، وهي هنا عامة لكل البشر غير مختصة باليهود. وهكذا يرى المنصف هذه النصوص أقرب ما تكون إلى كلام الأنبياء الموحى به؛ لأنّ غير الأنبياء لا يقدرون على وصف عالم الآخرة الغيبي، والله أعلم.

- "٢كَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ. ٣وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُور"(٢) [دانيال: ١٢ : ٢ - ٣].

---

(١) في اليسوعية: "لأنّ الربّ بالنار والسيف يحاكم كل بشر، ويكون قتلى الربّ كثيرين. إنّ الذين يقدسون أنفسهم ويطهرونها في الجنائن، وراء واحد في الوسط، ويأكلون لحم الخنزير والحيوان النجس والفأر يفنون معـًا، يقول الرب" ص ١٦٣٣.

(٢) في اليسوعية: "وكثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي، ويضيء العقلاء كضياء الجَلَد، والذين جعلوا كثيراً من الناس أبراراً كالكواكب أبد الدهور" ص ١٨٨٥.

قلت: إنّ هذا النص وحدَه يمثل القيامة من القبور وانقسام الناس إلى فريقين في حياة أبدية، إما سعادة وإما شقاء، وهذا صريح جداً وكافٍ جداً في إثبات النعيم والعقاب في أسفار اليهود.

وبالنسبة لكلمة "كثيرون" السابقة في سفر دانيال، حيث يظهر فيها أنّ البعث لا يشمل كل الموتى، فقد ورد نص آخر أقرب إلى الصواب وهو: "[١٩]تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ" [إشعياء: ٢٦: ١٩] وهذا عام في بعث الموتى.

❁ نتيجة:

يلاحَظ أنّ النصوص السابقة كافية لإثبات القيامة والحساب، بل إن وجود نصٍ واحد منها كاف لإثبات ذكر المعاد، فكيف إذا وُجد أكثر من نصّ؟ كما أنها نصوصٌ تصرح بالآخرة وليست مجرد إشارات، الأمر الذي يؤكد تضمن العهد القديم ذكرَ ركن اليوم الآخر، وأنها شواهد على تصديق القرآن الكريم لكتب أهل الكتاب، ويدعو الباحثين للحكم بذكر اليوم الآخر والثواب والعقاب في أسفار الانبياء، لا خلوها من ذلك كما صرّح النافون. والله أعلم.

ولعل من المفيد بيان ما يؤيد هذه الحقيقة بذكر اعتقاد أحبار اليهود بنعيم الجنة وعذاب النار، فقد ورد في تلمودهم: "النعيم مأوى الأرواح الزكية،...، ومأكل المؤمنين هو لحم زوجة الحوت المملحة، ويقدم على المائدة لحم ثور بريّ كبير جداً، ويأكلون أيضــًا لحم طير كبير لذيذ الطعم جداً، ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء؛ لما فيه

من الظلام والعفونة والطين، والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة"[١].

أما علماء اليهود وفلاسفتهم فمن أبرزهم ابن كمونة(ت:١٢٨٤م)، فقد أكد أنّ اليهود معتقدةٌ ومقرة بالبعث والنشور للأموات، وببقاء النفس بعد موت الأجساد، وأنهم تناقلوا ذلك خلفاً عن سلف، وترحموا على موتاهم، وأنّ أحبارهم وعلماءهم أكثروا من ذكر جزئيات أحوال الجنة والنار وكرروا ذلك[٢]. ومنهم سعديا الفيومي(ت٩٤٢م) الذي نقل إجماع الأمة اليهودية على إحياء الموتى في الدار الآخرة للمجازاة[٣]، وفي موضع آخر أكد إجماعهم على الثواب والعقاب في الآخرة إجماعاً منقولاً لا يحتمل التأويل[٤].

قلت: هؤلاء رؤوس علماء اليهود وهم أعلم بدينهم من غيرهم ولا يخفون عقيدتهم في الآخرة، فينبغي أخذ كلامهم واعتباره لا تهميشه، وخاصة أنهم يستندون إلى نصوص مقدسة عندهم ومشابهة لما في القرآن الكريم.

المطلب الثاني

نماذج من النصوص التفصيلية في اليوم الآخر

بعد إيراد نماذج من نصوص العهد القديم العامة التي ذكَرت الآخرة وطلبت الاستعداد لها، أورد نماذج من النصوص التي فصلت الكلام عن الآخرة. وقد رتبتها على مراحل: تبدأ بمظاهر التغير الكوني، ثم البعث، ثم مجيء

---

(١) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، سعيد بن منصور بن كمونه، ص ٤٢.

(٣) انظر: الاعتقادات والأمانات، ص ٣١١.

(٤) انظر: نفس المصدر، ص ٣٦٥.

الله تعالى، وسجود الناس له سبحانه، ومحاسبته الناس، والجنة والنار وخلودهما، ورؤية الله تعالى.

أولاً: ما ورد في التغير الكوني: وردت نصوص كثيرة؛ منها:

- "١٦مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ سَمِعْنَا تَرْنِيمَةً: «مَجْدًا لِلْبَارِّ». فَقُلْتُ: «يَا تَلَفِي، يَا تَلَفِي! وَيْلٌ لِي! النَّاهِبُونَ نَهَبُوا. النَّاهِبُونَ نَهَبُوا نَهْبًا». ١٧عَلَيْكَ رُعْبٌ وَحُفْرَةٌ وَفَخٌّ يَا سَاكِنَ الأَرْضِ. ١٨وَيَكُونُ أَنَّ الْهَارِبَ مِنْ صَوْتِ الرُّعْبِ يَسْقُطُ فِي الْحُفْرَةِ، وَالصَّاعِدَ مِنْ وَسَطِ الْحُفْرَةِ يُؤْخَذُ بِالْفَخِّ. لأَنَّ مَيَازِيبَ(١) مِنَ الْعَلاَءِ انْفَتَحَتْ، وَأُسُسَ الأَرْضِ تَزَلْزَلَتْ. ١٩اِنْسَحَقَتِ الأَرْضُ انْسِحَاقًا. تَشَقَّقَتِ الأَرْضُ تَشَقُّقًا. تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ تَزَعْزُعًا. ٢٠تَرَنَّحَتِ الأَرْضُ تَرَنُّحًا كَالسَّكْرَانِ، وَتَدَلْدَلَتْ كَالْعِرْزَالِ(٢)، وَثَقُلَ عَلَيْهَا ذَنْبُهَا، فَسَقطتْ وَلاَ تَعُودُ تَقُومُ"(٣) [إشَعياء: ٢٤: ١٦ - ٢٠].

أقول: إنّ الإنصاف يقتضي الحكم بأنّ هذا النص من بقايا وحي الله تعالى لأنبيائه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وإنما أقول هذا نظراً للتشابه الكبير بين هذا النص وأمثاله في

---

(١) الميازيب: مفردها مئزاب، وجمعه المآزيب والميازيب، هو مصب ماء المطر، ومنه ميزاب الكعبة، وهو ما يسيل منه الماء من موضع عال. انظر: تاج العروس، محمد الزبيدي، ٢/ ٢٤، مادة (أزب)، مجموعة من المحققين، دار الهداية. بدون تفاصيل.

(٢) العرزال هي الخيمة. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ٢/ ٩٠.

(٣) في اليسوعية: "من أطراف الأرض سمعنا تسابيح، الفخر للبارّ، فقلتُ: تباً لي تباً لي، الويل لي، الخونة يخونون، الخونة يخونون خيانة، الرعب والحفرة والفخ عليك يا ساكن الأرض، فالهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة، والصاعد من الحفرة يؤخذ بالفخ؛ لأنّ نوافد العلاء قد تفتحت، وأسس الأرض قد تزلزلت، رُضت الأرض رضاً، واهتزت الأرض اهتزازاً، وتزعزعت الارض تزعزعاً، ترنحت كما يترنح السكران، واضطربت مثل الكوخ، ثقلت عليها معصيتها، فسقطت ولا تعود تقوم" ص ١٥٦٥.

أسفار أنبياء بني إسرائيل وبين القرآن الكريم الذي صوّر لنا هذه المشاهد، وما تصوره مما سيقع من دمار كوني، يقول جل شأنه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة:١ - ٦].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢].

وأيضاً هذا النص: "اِقْتَرِبُوا أَيُّهَا الأُمَمُ لِتَسْمَعُوا، وَأَيُّهَا الشُّعُوبُ اصْغَوْا. لِتَسْمَعِ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ نَتَائِجِهَا. لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ،..، وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ، وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ(١)" [إشعياء: ٣٤ - ٤].

الخطاب عام لكل الأمم كما في أول النصّ، ولا يخص اليهود، ويتحدث عن التغير الذي يحدث للسماوات. ويشبهه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

❁ إشكال وتعقيب:

بالرغم من تضمن العديد من نصوص العهد القديم وصْفَ القيامة وأحداثها

---

(١) في اليسوعية: "اقتربي أيتها الأمم للاستماع، وأصغي أيتها الشعوب، لتسمع الأرض وملؤها، الدنيا وكل ما تخرجه، فإنّ سخط الربّ على جميع الأمم، وغضبه على كل جيشها،.. وتنحل قوات السماء كلها، وتطوى السموات كسِفر، وتذوى قواتها كافة كما يذوى الورق الساقط من الكرم، وكما يذوى ما يسقط من التين" ص ١٥٨٠.

المشابهة لما في القرآن الكريم، من التغير الكوني، والخروج من القبور، وحشر الناس إلى النار الأبدية، لكن يظهر بوضوح أنها مخصصة لصهيون(١) وشعب إسرائيل بالنجاة والانتصار على أعدائهم، فحوّلوا اليوم الآخر إلى انتصار قومي لليهود، مما يدل على التعصب لأقلية اليهود، مقابل تهميش واضح للسواد الأعظم من البشر، وهو إشكال واضح، كما يظهر في بعض النصوص ذكر أهوال القيامة، ثم في آخر النص مثلاً يتحدث عن أنه يوم على هذه الأرض. وهذا إشكال واضح أيضاً.

۞ تعقيب:

يمكن أن يجيب المثبتون عن الإشكال الوارد بأمور:

أولاً: إنّ الإنصاف يقتضي إعطاء كل ذي حق حقه، وإنّ من المبالغة عدم اعتبار النصوص الواردة في القيامة وأهوالها دليلاً على ذكر الآخرة، لوجود نصوص تبين أنّها اليوم الآخر، انتصارًا قوميًا لصهيون وشعب إسرائيل. فالصواب - والله أعلم - أن يُنبَّه لمسألة كون اليوم الآخر يومَ انتصار خاصاً بالشعب اليهودي حسب كثير من نصوصهم، وبالمقابل ينبَّه إلى تضمن هذه النصوص الحديث عن أحداث القيامة، وتشابهها مع ما ورد في العديد من آيات القرآن الكريم. إنه لمن غير الإنصاف تجاهل نصوص أسفار العهد القديم العديدة بشأن أحداث وأهوال القيامة، والنظر فقط للنصوص التي تتحدث عن انتصار شعب صهيون. ومن الإنصاف الواجب الذي أمرنا الله به الاعتراف بأنّ هذه النصوص وما فيها من وصف أهوال القيامة لا يمكن أن تكون من عقل بشر،

---

(١) صهيون: اسم مدينة القدس، أورشليم عند اليهود، ويطلق على أحد جبالها. انظر: قاموس الكتاب المقدس،٢/ ٢٣.

لأنها أمر غيبي لا يمكن التنبؤ به إلا من نبي، ولأنّ القرآن الكريم صدّقها. يقول جل شأنه آمراً بإنصاف العدو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ثانيـًا: أنّ بعض النصوص الواردة في القيامة تؤكد نجاة بعض الأمم الأخرى، كما في آخر النص الآتي، فلم تقصر النجاة على اليهود: "وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ. ٣١تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ. ٣٢وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو. لأَنَّهُ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ تَكُونُ نَجَاةٌ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ. وَبَيْنَ الْبَاقِينَ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ." [يوئيل: ٢: ٣٠ - ٣٢].

ثالثـًا: قد يُجاب عن الإشكال أيضـًا بما ذكره د. ياسر الأحمدي بأنّ المراد هو النصر الذي يكون آخر الزمان، حيث اجتماع المؤمنين ببيت المقدس وظهور المسيح المنتظر وقضاؤه على الكفار(١).

رابعـًا: أنّ النصّ يخاطب اليهود الذين أسلموا وآمنوا مع أنبيائهم، ولم يكن في الأرض على الإيمان غيرهم قبل بعثة نبينا محمد ﷺ، والله أعلم.

خامسا: قصر النص على شعب إسرائيل يحتمل أن يكون من الخلط المتعمد الذي فعله بعض الكتبة، فأخفوا ما يشير إلى أمة محمدﷺ، فيكون هذا مثالاً على ما فضحهم الله لأجله بقوله سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ

(١) ضمن كتاب أصله رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى للباحث د. ياسر الأحمدي، بعنوان: "ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية"، ص ٤٧٢.

مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وخاصة أنّ الله - جلّ شأنه - جعل وراثة الأرض لعباده الصالحين، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ومعلومٌ أنّ اليهود كفروا لإنكارهم رسالة نبينا محمد ﷺ، فعباد الله الصالحون هم أمة محمد ﷺ لا اليهود، لكنهم يعتقدون أنهم المقصودون بهذه النصوص، بناءً على تحريف أجدادهم كلامَ الله تعالى. وقد بيّن هذا صاحب كتاب ملاحم آخر الزمان، وذلك بالنظر لوجود تقارب في النصوص بين المسلمين واليهود والنصارى في أنّ بيت المقدس ستكون مكانـًا لاجتماع المؤمنين ونصرة الله لهم وهلاك أعدائهم(١).

سادسـًا: وجود نصوص تؤكد أهوال القيامة المتشابهة مع القرآن الكريم، يؤكد أنها من بقايا الوحي الإلهي، وأما وجود ألفاظ أخرى تصرح بأنها في الدنيا فهذا ربما يكون من الخلط عند النساخ، أو مما تعمده بعضهم، ومع هذا فهذه الألفاظ لا تلغي حقيقة عقيدة معظم اليهود بالبعث والجنة والنار بعد الموت كما تقدم بيانه(٢)، ولا تلغي تلك النصوص العامة والتفصيلية لليوم الآخر.

وبعد هذا التوضيح نرجع إلى مراحل القيامة حسب نصوص العهد القديم:

ثانيـًا: قيام الموتى من القبور (البعث):

بعد التغير الكوني وأهواله تأتي المرحلة الثانية من مراحل الآخرة، التي

(١) انظر: ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية، د. ياسر الأحمدي، ص ٤٧٢.

(٢) تراجع ص ٣١ - ٣٢.

وردت في عدة نصوص؛ أبرزها:

-"تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ". [إشعياء:٢٦: ١٩]

في هذا النصّ تصريحٌ جليٌّ بقيام الموتى وبعثهم من القبور، والنصُّ الذي يليه فيه تصريح بالبعث أيضـاً، وانقسام الناس إلى فريقين: فريق للسعادة الأبدية، وفريق للاحتقار الأبدي، فهذه نصوص تصرّح بذكر الآخرة وليست مجرد إشارات.

- "٢كَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ.٣وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُور"[دانيال: ١٢: ٢ - ٣].

ثالثـاً: الحشر: وهو جمع الأمم كلها في مكان واحد استعداداً للحساب:

- "٢١وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلاَءِ فِي الْعَلاَءِ، وَمُلُوكَ الأَرْضِ عَلَى الأَرْضِ. ٢٢وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ يَتَعَهَّدُونَ. ٢٣وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ، لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، وَقُدَّامَ شُيُوخِهِ مَجْدٌ"[1]. [إشعياء:٢٤: ٢١ - ٢٣]، يظهر من خلال عبارة: "وَيُجمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ

(١) في اليسوعية: "وفي ذلك اليوم يفتقد الربّ جند العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض، فيجمعون كما يجمع الأسرى في الجبّ، ويغلق عليهم في السجن، وبعد أيام كثيرة يُفتقدون، فيخجل القمر وتخزى الشمس؛ لأنّ ربّ القوات يملك في جبل صهيون وفي أورشليم، ومجده أمام شيوخه" ص ١٥٦٥ - ١٥٦٦.

عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ"؛ حيث جند السماء وملوك الأرض يجمعون في مكان واحد، ولعله كناية عن جمع الناس وحشرهم لغاية الحساب.

رابعـًا: مجيء الله تعالى وعرض الأعمال ومحاسبة الناس: وردت نصوص عدة توضح مجيء الله تعالى ليحاسبَ أهل الأرض وشعوبها بالعدل، ومنها:

-"١٦مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. قُمْ يَا رَبُّ. لاَ يَعْتَزَّ الإنسانُ لِتُحَاكَمِ الأُمَمُ قُدَّامَكَ"(١) [مزمور: ٩:١٥ – ١٩].

-"لأَنَّهُ جَاءَ، جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِأَمَانَتِهِ"(٢) [مزمور:٩٦: ١٣].

وهذا النص منسوب لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يُشَك في صحة معناه؛ لأنه يتحدث عن قضاء الله بالعدل بين الأمم.

-وورد هذا النص عن عرض الأعمال: "١٣فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. ١٤لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَل إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شراً" [جامعة: ١٢: ١٣ – ١٤].

قلت: هذه نصوص تصرح بالحساب وليست مجرد إشارات، والنص الأخير فيه وجه شبه من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا

(١) في اليسوعية: "تورطت الأمم في الهوة التي حفرت، وعلقت أرجلها في الشبك الذي طمرت، أظهر الرب نفسه وأصدر القضاء، وأخذ الشرير بما فعلت يداه، ليرجع الأشرار إلى مثوى الأموات، وجميع الأمم الذين نسوا الله، فإنّ المسكين لا ينسى على الدوام، ورجاء البائسين لا ينقط إلى الأبد. قُم يا ربّ ولا يقوَ الإنسان، ولتدَن الأمم في حضرتك. يا ربّ ألقِ الرعب عليها، ولتعلم الأمم أنها بشر" ص ١١٢٨.

(٢) في اليسوعية: "لأنه آتٍ، آتٍ ليدين الدنيا بالبر والشعوب بأمانته" ص ١٢٤٧.

وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

خامسًا: سجود الناس أمام الربّ سبحانه:

وقفت على النصين الآتيين: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ الْجَدِيدَةَ وَالأَرْضَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي أَنَا صَانِعٌ تَثْبُتُ أَمَامِي، يَقُولُ الرَّبُّ، هكَذَا يَثْبُتُ نَسْلُكُمْ وَاسْمُكُمْ. ٢٣وَيَكُونُ مِنْ هِلاَل إِلَى هِلاَل وَمِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ، أَنَّ كُلَّ ذِي جَسَدٍ يَأْتِي لِيَسْجُدَ أَمَامِي، قَالَ الرَّبُّ"(١) [إشعياء: ٦٦: ٢٢ - ٢٣].

-"١١لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ. ١٢لِيَجْذَلِ الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ، لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ ١٣أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ. جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوب بِأَمَانَتِهِ"(٢) [مزمور: ٩٦: ٩ - ١٣].

وأيضًا هذا النص الصريح: "كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ، وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ. ١٠لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ" [مزمور: ٨٦، ٩ - ١٠].

---

(١) في اليسوعية: "لأنه كما أنّ السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أصنعها تدوم أمامي، يقول الرب: فكذلك تدوم ذريتكم واسمكم، ومن رأس شهر إلى رأس شهر ومن سبت إلى سبت كل بشر يأتي ليسجد أمامي، قال الرب" ص ١٦٣٣ - ١٦٣٤.

(٢) في اليسوعية: "اسجدوا للرب في زينة مقدسة، ارتعدوا يا ساكني الأرض من وجهه، قولوا في الأمم الرب ملك، الدنيا ثابتة لن تتزعزع، يدين الشعوب بالاستقامة، لتفرح السموات وتبتهج الأرض، ليهدِر البحر وما فيه، لتبتهج الحقول وكل ما فيها، حينئذ تتهلل جميع أشجار الغاب، أمام وجه الرب لأنه آتٍ، آت ليدين الدنيا بالبر، والشعوب بأمانته" ص ١٢٤٦ - ١٢٤٧.

سادسًا: وصف النار الأبدية والناس وقودها: وردت في العهد القديم نصوص تصف النار وأصحابها:

- ورد في المزامير ثناء داود عَلَيْهِ السَّلَامُ على ربّه تعالى: "تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ"(١) [مزمور: ٢١: ٨ - ٩].

- ووردَ أيضـًا ما يدل على أبدية النار وأنّ الناس هم وقودها ومن ذلك:

- "نَفَسُكُمْ نَارٌ تَأْكُلُكمْ. ١٢وَتَصِيرُ الشُّعُوبُ وَقُودَ كِلْسٍ(٢)، أَشْوَاكًا مَقْطُوعَةً تُحْرَقُ بِالنَّارِ سْمَعُوا أَيُّهَا الْبَعِيدُون مَا صَنَعْتُ، وَاعْرِفُوا أَيُّهَا الْقَرِيبُونَ بَطْشِي. ١٤ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ: «مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟"(٣) [إشعياء:٣٣: ١١ - ١٢].

وفي النص السابق أنّ النار أبدية، وأنّ الشعوب تتحول إلى وقود، نسأل الله العافية، وفيه وجه شَبه من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى

---

(١) في اليسوعية: "يدك تصل إلى جميع أعدائك، ويمينك إلى مبغضيك، تجعلهم كتنور نار حيت يتجلى وجهك. إنّ الرب بغضبه يبتلعهم والنار تأكلهم" ص ١١٤٢.

(٢) كلس: أي الجير، أي المادة المتبقية بعد تسخين الحجر الجيري تسخينـًا شديداً، فتنبعث من حرارة شديدة، وتصير الشعوب وقود كلس، أي: إنهم سيحرقون كما يحرق الكلس بنيران شديدة. انظر: دائرة المعارف الكتابية، ٦/ ٣٦٧، مادة (كلس)، مجلس التحرير: د. القس صموئيل حبيب وآخرون، دار الثقافة، مصر.

(٣) في اليسوعية: "نفسكم نارٌ تأكلكم، وتكون الشعوب كمحترق الكلس، وكشوك مقطوع يُحرق بالنار. اسمعوا أيها القاصون ما صنعت، واعرفوا أيها الدانون جبروتي. قد فزع في صهيون الخاطئون، والرعدة أخذت الكفار، من منا يسكن في النار الآكلة؟ من منا يسكن في الوقائد الأبدية؟" ص ١٥٧٩.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وورد أيضـًا: "فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا"(١)[ملاخي:١: ٤].

وورد أيضـًا: "وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ؛ لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ، وَيَكُونُونَ رَذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ"(٢)[إشعياء:٦٦: ٢٤].

قلت: واضح أنّ النار أبدية لا تطفأ؛ لأنّ الناسَ وقودها، والناسُ لا يموتون في النار، وهذا يقارب قوله سبحانه:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

سابعـًا: الصالحون يسكنون الجنة العالية ووجوههم مضيئة:

ورد في العهد القديم ذكر الجنات وأهلها الذين فعلوا البرّ، حيث جاء بعد ذكر النار هذا النص: "مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟ ١٥ السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالاسْتِقَامَةِ، الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمَظَالِمِ، النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرَّشْوَةِ، الَّذِي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدِّمَاءِ، وَيُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ ١٦هُوَ فِي الأَعَالِي يَسْكُنُ"(٣) [إشعياء:٣٣: ١٥ – ١٨].

---

(١) في اليسوعية: "فإنه هوذا يأتي اليوم المضطرم كالتنور، فيكون جميع المتكبرين وجميع صانعي الشر قشّـًا، فيحرقهم اليوم الآتي، قال ربّ القوات، حتى لا يبقى لهم أصلاً ولا غصنـًا" ص ٢٠٣٠.

(٢) في اليسوعية: "ويخرجون وبرون جثث الناس الذين عصوني، لأنّ دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ، ويكونون رُذالة لكل بشر" ص ١٦٣٤.

(٣) في اليسوعية: "من منا يسكن في النار الآكلة؟ من منا يسكن في الوقائد الأبدية؟ السالك بالبر =

بعد ذكر عقوبة المنافقين والنار الأبدية جاء ذكر الأعمال الصالحة وثوابها، كلزوم الحق وقوله، وترك المحرمات، كمكسب الظلم والرشوة والقتل والنظر للمحرم، وثوابها مجازاة فاعلها بسكناه في الأعالي.

قلت: هذا يشبه أسلوب القرآن الكريم من حيث المقابلة بين الكافرين وعقوبتهم وبين المؤمنين وثوابهم، مع الفرق الواضح في روعة الأسلوب اللغوي في القرآن الكريم، وما يتضمنه من معانٍ وتأثير في النفس وبيانٍ شاف وبديع رائع، وبين العهد القديم المترجَم والصورة غير الواضحة أحيانـًا.

وورد أيضـًا: "١٧الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ وَيُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ وَرَاءَ وَاحِدٍ فِي الْوَسَطِ[(١)]" [إشعياء:٦٦: ١٧].

قلت: يظهر في النص ثواب الأنفس الطاهرة وأنها في الجنات.

وأيضا: "١٣وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ" [دانيال:١٢: ٢ – ٣].

يتضمن النص وصفـًا للدعاة الذين يهتدي الناس بسببهم، فتصير وجوههم مضيئة كالكواكب وإلى الأبد. فاللهم وفقنا لعمل ترضاهُ من الدعوة إليك، ليهتدي بإذنك خلق كثيرون على أيدينا، واجعل وجوهنا مضيئة يوم نلقاك يا ذا الجلال والإكرام.

=

والمتكلم بالاستقامة، الرافض مكاسب المظالم، والنافض كفيه من قبض الرشوة، السادُّ أذنه عن خبر الدم، والمغمض عينيه عن رؤية الشر، فهو يسكن في الأعالي " ص ١٥٧٩.

(١) في اليسوعية: "إنّ الذين يقدسون أنفسهم ويطهرونها في الجنائن وراء واحد في الوسط" ص ١٦٣٣.

ثامنا: رؤية الله تعالى:

وعن رؤية الله تعالى وقفت على هذا النص المنسوب لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- "٢٦وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ" [أيوب: ١٩: ٢٦].

وهذا النص يظهر منه أنّ الإنسان يرى الله تعالى بروحه لا بجسده، وهذا فيه مخالفة للنصوص السابقة التي ذكرت أنّ الأجساد تقوم وتحاسب، كما أنه يتعارض مع اعتقاد أهل الاسلام بأنّ البعث والحساب والنعيم والعذاب للروح والجسد معـًا، لكنه يتضمن رؤية الله بعد الموت.

ويوجد نصٌّ آخر يظهر أنه في رؤية الله تعالى، وهو: "١٨وَأَنَا أُجَازِي أَعْمَالَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ. حَدَثَ لِجَمْعِ كُلِّ الأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ، فَيَأْتُونَ وَيَرَوْنَ مَجْدِي"[إشعياء: ٦٦:١٨]. ومجد الله كما يفسره علماء أهل الكتاب هو كمال صفاته التي بها يفوق الإنسان(١). ورؤية الله جلّ جلاله في الجنة حق، لقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

تاسعا: أبدية الثواب والعقاب:

بينت بعض النصوص أنّ الدنيا تفنى، في حين أن ثواب الله وبرّه أبديٌّ لا ينتهي، ومنها:

- "فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ كَالدُّخَانِ تَضْمَحِلُّ، وَالأَرْضَ كَالثَّوْبِ تَبْلَى، وَسُكَّانَهَا كَالْبَعُوضِ يَمُوتُونَ. أَمَّا خَلاَصِي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ وَبِرِّي لاَ يُنْقَضُ. ٧اسْمَعُوا لِي يَا

(١) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، ٢/ ٣١٧، مادة (مجد) يراد بمجد الله كمال صفاته.

عَارِفِي الْبِرِّ، الشَّعْبَ الَّذِي شَرِيعَتِي فِي قَلْبِهِ: لاَ تَخَافُوا مِنْ تَعْيِيرِ النَّاسِ، وَمِنْ شَتَائِمِهِمْ لاَ تَرْتَاعُوا، ٨لأَنَّهُ كَالثَّوْبِ يَأْكُلُهُمُ الْعُثُّ، وَكَالصُّوفِ يَأْكُلُهُمُ السُّوسُ. أَمَّا بِرِّي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ، وَخَلاَصِي إِلَى دَوْرِ الأَدْوَار"[١] [إشعياء:٥١: ٦ – ٨].

وورد هذا النصّ عن نهاية المنافقين وعن ثواب الصدّيقين: ".. لأنّ رجاء المنافق كغبار تذهب به الريحُ وكزبدٍ رقيق تطارده الزوبعة، وكدخان تبدده الريح وكذكر ضيفٍ نزل يوماً ثم ارتحل، أما الصديقون فسيحيون إلى الأبد، وعند الربّ ثوابهم، ولهم عناية من لدن العليّ، فلذلك سينالون ملك الكرامة، وتاج الجمال من يد الربّ؛ لأنه يسترهم بيمينه وبذراعه يقيهم" [الحكمة:٥: ١٥ – ١٨].

قلت: هذه نصوص جليةٌ جداً، لا يسع المؤمن بعد قراءتها إلا الحكم بأنّ الله تعالى أقام الحجة بها وبمثيلاتها على أهل الكتاب للإيمان بالآخرة، ووجوب الاستعداد لها بالإيمان بالقرآن الذي صدّق هذه النصوص؛ فالحمد لله الذي علمنا من كتب أهل الكتاب ما صدّقهُ القرآن الكريم فزادنا إيمانـاً بكلماته ووعده.

۞ تساؤل وإجابة:

إنّ المتأمل في نصوص القيامة – السابقة وغيرها – في أسفار العهد القديم

---

(١) في اليسوعية: "فإنّ السموات كالدخان تتبدد، والأرض كالثوب تبلى، وسكانها يموتون كالذباب، أما خلاصي فيكون للأبد وبري لا يُصرع. اسمعوا لي يا عارفي البر، الشعب الذي بقلبه شريعتي، لا تخافوا إهانة الناس، ومن شتائمهم لا ترتاعوا، لأنه كالثوب يأكلهم العث، وكالصوف يقرضهم السوس، أما بري فيبقى للأبد، وخلاصي إلى جيل الأجيال" ص ١٦١٠.

ينبغي أن يتساءل: من أين أتى كتبة هذه الأسفار بهذا الوصف الدقيق والمشابه(١) لما في القرآن الكريم في بعض جوانبه؟

ولعلّ الجواب عن ذلك أنه مما أوحى الله تعالى لأنبياء بني إسرائيل الذين أعلموا الناس بهذا، فدونوه مع اختلاطه ببعض ما خص به اليهود أنفسهم من كونهم شعب الله المختار إلى الأبد، وأنه سينصرهم آخر الزمان. فهذا تحريف واضح، لكنه لا يناقض أنّ علوم الغيب عن الآخرة من كلام الأنبياء لأقوامهم، ولا يستطيع فسقة اليهود أن يتنبؤوا بها؛ فهي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فهذه نصوصٌ من بقايا الوحي الصحيح؛ لتصديق القرآن الكريم لها. والله تعالى أعلم وأحكم.

❁ نتيجة:

من الإنصاف القول بأنّ هذه النصوص حجة قوية تضاف إلى علماء المسلمين الذين أثبتوا ذكر الآخرة في العهد القديم، كما تتضمن تصحيحاً لمن قال: إنّ نصوص العهد القديم عن اليوم الآخر ما هي إلا إشارات لا تصريحات، فقد ترجح أنها صريحة وكثيرة، وبعضها - كما في نصوص الحكمة والجامعة - يؤكد على الحساب وإحضار جميع أعمال يوم القيامة، كهذا النص الذي أورده هنا للتذكير، وفيه: "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. ١٤لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَل إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا"(٢) [الجامعة: ١٢: ١٣ - ١٤].

---

(١) يظهر هذا التشابه بشكل أوضح عند قراءة النصوص الواردة في مراحل الآخرة.

(٢) في اليسوعية " ختام الكلام: كلّ شيء مسموع، اتق الله واحفظ وصاياه، فإنّ هذا هو الانسان =

فينبغي على من وقف على هذه النصوص من النافين التراجع عن رأيه؛ طاعة لله ورسوله، ونزولاً على الحق، وإنصافًا للعدو، ومن المهم أيضًا أنّ هذه النصوص حجة على أهل الكتاب. والله المرتجى أن يجعلنا من أهل الإنصاف ومن عباده المرحومين والمشمولين بعفوه وكرمه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمن علمنا، إنه جواد كريم.



=

كلّه، لأنّ الله سيحضر كل عمل، فيدين كلّ خفي، خيرا كان أم شراً " ص ١٣٧٧ .

الخاتمة

بعد عرض وتحليل مواقف علماء الاسلام من مسألة ذكر اليوم الآخر في التوراة وبقية أسفار العهد القديم، وبمراجعة نصوص العهد القديم، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- يُعد الإمام الشوكاني أشد المثبتين ذكرَ الآخرة في التوراة، في حين كان الإمام ابن حزم أشد النافين.

- خلت التوراة الحالية (الأسفار الخمسة) من ذكر الآخرة صراحةً، وخلوها شاهد على التحريف.

- ترجيح رأي من أثبت من العلماء ذكر الآخرة في أسفار العهد القديم؛ لأنهم وقفوا على عدة نصوص، في حين لم يقف النافون على نصوص، ومن أثبت بدليل مقدَّم على من نفى.

- ثبت احتواء بقية أسفار العهد القديم نصوصاً عديدة عن الآخرة، تأمر بالتقوى، وتحذر من الشر والآثام، كما احتوت نصوصاً تصف مشاهد الآخرة، بدايةً بالتغير الكوني، ثم البعث، وجمع الأمم، وعرض أعمالهم، ورؤيتهم اللهَ تعالى، وسجودهم له سبحانه. ونصوص النار في بقية أسفار العهد القديم تؤكد أنها أبدية لا تُطفأ، وأهلها يبقون وقوداً لها، وثبت فيها ذكر الجنة ونعيمها، كما ثبتت نصوص الثواب والعقاب الأبديين.

- خطأ القول بخلو العهد القديم من ذكر الآخرة، وخطأ القول بوجود إشارات إلى اليوم الآخر فحسب، فقد ثبت في البحث وجود نصوص تصرح بالآخرة وبعض تفاصيلها.

- يلاحظ تعصب اليهود، إذ إنّ العديد من نصوص العهد القديم الواردة في اليوم الآخر وأهواله تربطه بكونه يوم من أيام الدنيا، فيه خلاص اليهود، وهلاك أعدائهم، مع ملاحظة وجود نصوص تثبت النجاة لليهود ولغيرهم.

- وجود خلط عند كتبة العهد القديم في بعض نصوص الآخرة، فبعضها صحيح؛ لتقاربه مع القرآن الكريم، وبعضها يظهر فيه التعصب لصهيون وشعب إسرائيل وانتصارهم في آخر أيام الدنيا، وهذا الخلط لا يلغي نصوص القيامة، فينبغي على الباحث المنصف قبول ما وافق القرآن الكريم وردّ ما خالفه.

- أوصي بتصحيح الخطأ الشائع في بعض المؤلفات، الذي يتضمّن نفي ذكر الآخرة في جميع العهد القديم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أنزلت القرآن مصدقاً لما بين يديه، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ على نبينا محمد وعلى إخوانه المرسلين، وأصحابهم وأتباعهم، والحمد لله ربّ العالمين.



المراجع

– القرآن الكريم.

– الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ط٣، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٤م.

– العهد القديم. نسخة الكترونية من إصدار كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية، من موقع: http://st.Takla.org

– الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، أحمد بن إدريس، تحقيق مجدي الشهاوي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٥.

– الأسفار المقدسة قبل الإسلام، وافي، علي عبد الواحد، ط١، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٣٨٤هـ.

– الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، القرطبي، أحمد بن عمر، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة دار التراث العربي.

– الأمانات والاعتقادات، الفيومي، سعديا، تحقيق DR Landaue S. طباعة LEIDEN, J. BRILL.. ١٨٨٠م.

– إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق مجموعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ – ١٩٨٤م.

– إظهار الحق، الهندي، محمد رحمة الله، تحقيق د. محمد الملكاوي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية.

– التنبيه والإشراف، المسعودي، علي بن الحسين، تصحيح عبدالله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.

– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق وتعليق د. علي بن حسن بن ناصر وآخرون، ط ٢، الرياض، السعودية، دار العاصمة،

١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

- دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: د. القس صموئيل حبيب وآخرون، دار الثقافة، مصر.

- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف، د. سعود عبد العزيز، ط٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

- الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، الطبري، علي بن سهل بن ربن، تحقيق عادل نويهض، ط١، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٣.

- الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، علي بن سعيد، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، صالح، د. سعد الدين السيد، ط١، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهر، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

- العرب واليهود في التاريخ، سوسة، د. أحمد سوسة، ط٢، دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة.

- الفرق والمذاهب اليهودية، همو، عبد المجيد همو، ط٢، دمشق، الأوائل للنشر التوزيع،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن سعيد، تحقيق د. محمد نصر، ود.عبد الرحمن عميره، بيروت، دار الجيل.

- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف نصر الله، ط١، الفجالة، مصر، مطبعة المعارف، ١٨٩٩.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية – ١٤١٢ هـ.

- الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، تحقيق أحمد فهمي محمد، ط٢،

بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- اليهودية، شلبي، شلبي، د. أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية، ط٨، القاهرة، ١٩٨٨.

- اليهودية واليهودية المسيحية، حسنين، د. فؤاد حسنين، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.

- اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات السابقة، مبيض، د. يسر مبيض، ط١، دار الثقافة، الدوحة. ١٤١٢هـ.

- تاج العروس، الزبيدي، محمد بن محمد، مجموعة من المحققين، دار الهداية. بدون تفاصيل.

- تاريخ الديانة اليهودية، حسن، د. محمد خليفة، ط١، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، طاهر بن محمد، تحقيق: كمال الحوت، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، الجعفري، صالح بن الحسين، تحقيق د. محمود قدح، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ترجمان الأديان، السحمراني، د. أسعد، ط١، بيروت، دار النفائس،، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ابن كمونة، سعد بن منصور، تحقيق: عبد العظيم المطعني، مصر، دار الأنصار، بدون تفاصيل.

- صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف د. جورج بوست، المطبعة الأمريكانية،

بيروت، ١٩٠١م.

– قصة الحضارة، ديورانت، ول وايريل، تقديم د. محي الدين صابر، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

– مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

– مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، مجموعة من اللاهوتيين، بيروت، ١٨٦٩م.

– مقامع الصلبان، الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، تحقيق عبد المجيد الشرفي، الجامعة التونسية، تونس. د، ت.

– ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية، الأحمدي، د. ياسر بن عبد الرحمن، ط٢، الرياض، مجلة البيان، ١٤٣٤هـ.

– منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب، آل معمر، عبد العزيز بن حمد، تحقيق د. محمد السكاكر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، إصدار الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية.

– موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، نسخة الكترونية.

– نقد التوراة أسفار موسى الخمسة، السقا، د. أحمد حجازي، مكتبة النافذة. بدون تفاصيل.

– هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق د. محمد أحمد الحاج، ط ١، دار القلم، دمشق، جدة، دار الشامية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

الفهرس

